

جورج برنارد شو

الميجور باربارا



الميجور باربارا

حقوق الطبع وإعادة النشر والاقتباس والتصوير محفوظة لدار أسامة إلا بإذن
مسبق من دار أسامة تحت طائلة المسؤولية.

الكتاب: الميجور باربارا

تدقيق: محمد باكير

ترجمة: محمد طريف فرعون

طباعة: دار أسامة - دمشق

الجمهورية العربية السورية - دمشق جسر فكتوريا

ص.ب. ٤٣٠٦ - هاتف ٢٢٣٢٣٢٦ - فاكس ٢٢٤٨١٨٠

جورج برنارد شو

الميجور باربارا

" ترجمة كاملة عن النص الإنكليزي "

ترجمة

محمد طريف فرعون



دمشق - مجمع فكتوريا التجاري - هاتف ٢٢٣٢٣٢٦ - ص.ب: ٤٣٠٦

الإهداء

إلى كلّ الحالمين بالأمن والسلام...

أزف إليهم مسرحية برنارد شو "الميجور باربارا" ليعلموا أن الأمن والسلام
لا يوجد بدون قوّة تفرضه وتحميه...

الناشر

تقديم

محمد طريف فرعون

جورج برنارد شو:

أعظم كاتب إيرلندي كتب مسرحيات باللغة الإنكليزية، ولد في دبلن عام ١٨٥٦م، والده جورج كار شو أصغر إخوته الثلاثة عشر، عمل موظفاً صغيراً في محكمة دبلن.

درس برنارد شو في دبلن إلى سن الخامسة عشرة، ثم عمل كاتباً ومحاسباً، ثم لحق بوالدته إلى لندن في عام ١٨٧٦م والتي عملت هناك كمدرسة للموسيقى ومغنية في الأوبرا.

هجر شو الكنيسة منذ صغره لأنه كان يرى أنها ابتعدت عن تعاليم المسيح الحقيقية، ورغم أنه لا يعتبر نفسه مسيحياً إلا أن أفعاله كانت تدل على أنه رجل ملتزم دينياً، كان يشعر بقدسية الحياة، ولا يأكل اللحم، ولا يشرب الخمر، ولا يدخن، وكان طيباً وكريماً مع أصدقائه، وكان يرى أن واجب الإنسان أن يكافح من أجل أن يجعل العالم مكاناً أفضل للحياة.

أصبح نباتياً عندما كان في الخامسة والعشرين، وتأثر بذلك بالشاعر الإنكليزي شيلي، ولكن دافعه الأقوى لذلك شعوره أن الحيوانات هي مخلوقات يجب أن لا تذبح من أجل مصلحة الإنسان.

أولى مسرحياته هي "أرامل المنازل" مثلت في لندن عام ١٨٩٢م، وتتعرض لاستغلال ملاك المنازل للمستأجرين الفقراء..لم تلق مسرحيته هذه نجاحاً يذكر لغرابة موضوعها عن المجتمع الإنكليزي، إلا أنه استمر في كتابة المسرحيات

وعالج مواضيع أكثر جدية مثل مشكلة البغاء في مسرحيته " مهنة وارين " والحرب في "السلاح والإنسان" والتعصب الديني في "شيطان الحواري"، إلا أن مسرحياته لم تلق نجاحاً باهراً إلا فيما بعد..

في عام ١٩٠٤م أعيد عرض مسرحياته ولاقت نجاحاً باهراً إلى درجة أن عرضت إحدى عشرة مسرحية من مسرحياته ٧١١ مرة في عام ١٩٠٧م.

وأصبح برنارد شو بعد عرض مسرحيته الساخرة "الإنسان والسوبرمان" أشهر كاتب مسرحي في العالم بعد شكسبير مباشرة ونال جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٢٥م.

كتب برنارد شو خمسين مسرحية ترجمت إلى معظم لغات العالم، وتوفي عام ١٩٥٠م عن خمسة وتسعين عاماً.

كتب برنارد شو مسرحيته "الميجور باربارا" عام ١٩٠٥م، وكان في الخمسين من العمر، واختار أن تدور أحداثها حول جيش الخلاص لأن أعضائه كانوا شديدي الحماس الديني، كان ذلك واضحاً في أغانيهم وخطبهم الرنانة، كانوا يحاربون العدو، والسؤال الذي طرحه شو هو " من العدو؟"

جواب جيش الخلاص واضح العدو هو الشيطان..ولكن شو أراد أن يظهر أن العدو هو الفقر، الشر الذي ينشأ عن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

كان جيش الخلاص يعظ الناس الفقراء ويقدم لهم الطعام والمأوى، ولكن شو رأى أن الطعام والمأوى رغم أنه يقدم لهم بقلوب صافية ومن وازع ديني إلا أنه أصبح رشوة تقود بأولئك الذين يتلقون تلك المساعدات بالتظاهر أنهم قد اهتموا دينياً من أجل عدم قطع تلك المساعدات عنهم.

وفي "الميجور باربارا" يُظهر برنارد شو المعروف بمناهضته للحروب والدمار الصراع القائم بين بائع أسلحة الدمار "أندرشافت" وبين أفكار الخلاص ممثلة بابنته "باربارا" ويبدو في النهاية أن أفكار تدمير الأرواح قد انتصرت على أفكار إنقاذها وخلاصها.

التحقت باربارا بجيش الخلاص معتقدة أنه يوسعها تخلص البؤساء من تعاطي الخمر ومن ويلات الحروب، إلا أنها اكتشفت أن المساعدات المالية التي تقدم للجيش مصدرها منتج الخمر ومنتج أسلحة الدمار، وكان ذلك بمثابة صدمة هائلة لها أدت بها إلى أن تترك جيش الخلاص وتعيد النظر في حساباتها.

ماذا حصل بعد ذلك...؟

أترككم مع هذه المسرحية الرائعة لتعرفوا بأنفسكم..

محمد طريف فرعون

الشخصيات

الليدي برايتمورت: زوجة أندرشافت.

ستيفن أندرشافت: ابن الليدي برايتمورت.

سارة أندرشافت: ابنة الليدي برايتمورت.

تشارلز لوماكس: خطيب سارة.

باربارا أندرشافت: ابنة الليدي برايتمورت ومتطوعة في جيش الخلاص برتبة
ميجور.

أدولفوس كاسوس: شاب يوناني يدرّس اللغة الإغريقية، خطيب باربارا.

أندرو أندرشافت: لديه مصانع لإنتاج مختلف أسلحة الدمار، مليونير كبير.

لازاروس: شريك أندرو.

رومي ميتشنس: امرأة فقيرة.

برونز برايس: رجل فقير.

بيتر شيرلي: عجوز فقير.

جيني هيل: فتاة متطوعة في جيش الخلاص.

بيل ولكر: فقير معدم يبحث عن ابنته في مقر جيش الخلاص.

الميجور باربارا

صانع الأسلحة

بعد العشاء في أحد أيام شهر كانون الثاني عام ١٩٠٦م في مكتبة منزل الليدي برايممورت أندرشافت في ويلتون كريستنت توجد أريكة واسعة ومريحة في منتصف الغرفة، سيكون على يمين الشخص الذي سيجلس عليها طاولة كتابة تجلس عليها الليدي، وطاولة كتابة أخرى أصغر منها خلفه، الباب خلفه وتوجد نافذة إلى يساره بجانبها.

الليدي برايممورت في الخمسين من العمر، لا تهتم بأناقته ولا بطريقة كلامها.

يدخل ابنها ستيفن، إنه في الخامسة والعشرين، جدي للغاية.

ستيفن: ما الأمر؟

الليدي برايممورت: ستيفن.

يتقدم ستيفن ويجلس على الأريكة، يمسك جريدة أسبوعية ليبرالية تدعى

"المتحدث"

الليدي برايممورت: لا تبدأ بالقراءة يا ستيفن.. انتبه إليّ.

ستيفن: أقرأ بينما أنتظر...

الليدي برايممورت: لا تخلق الأعذار يا ستيفن... [يضع الصحيفة جانباً] الآن
[تنهض من مكانها وتقترب منه] لن أدعك تنتظرني طويلاً، أحضر لي الوسادة.
"تجلس ويأخذ الوسادة من الكرسي ويقدمها لها" لا تلعب بربطة عنقك يا ستيفن
لا شيء بها.

ستيفن: عفواً [يلعب بسلسلة الساعة]

الليدي برايممورت: هل أنت مصغ إليّ يا ستيفن؟

ستيفن: طبعاً يا أمي.

الليدي برايممورت: لا.. ليس طبعاً، أريد انتباهاً أكثر.. سأحدث إليك بكل
جدية يا ستيفن، لا تلعب بسلسلة الساعة.

ستيفن: [يدع السلسلة] هل فعلت شيئاً أزعجك يا أمي؟

الليدي برايممورت: لا أبداً.. هل ظننت أنني غاضبة منك؟

ستيفن: ما الأمر إذاً يا أمي؟

الليدي برايممورت: ستيفن.. متى ستدرك أنك أصبحت شاباً وأنني مجرد
امرأة؟

ستيفن [مدهوشاً]: مجرد امرأة؟!

الليدي برايتمورت: لا تكرر كلماتي من فضلك، هذه عادة سيئة يجب أن تتعلم أن تواجه الحياة بجدية يا ستيفن، أنا لا أستطيع تحمل أعباء الأسرة بمفردي، أريدك أن تتصحني وأن تقوم بمسؤولياتك.

ستيفن: أنا؟

الليدي برايتمورت: نعم أنت..طبعاً، بلغت الرابعة والعشرين في أيار الماضي، ذهبت إلى جامعتي هارو وكامبريدج، وسافرت إلى الهند واليابان وتعرف الكثير من الأشياء إلا إذا أمضيت وقتك بأشياء يندى لها الجبين...هيا اتصحني.

ستيفن: أنت تعلمين أنني لم أتدخل يوماً في أمور البيت.

الليدي برايتمورت: أنا لا أريدك أن تتدخل في أمور البيت، ولا أن تطلب من الخادمة إعداد العشاء.

ستيفن: أعني في أمور العائلة.

الليدي برايتمورت: يجب أن تتدخل الآن.

ستيفن: شعرت أحياناً أنه يجب أن أتدخل، ولكن أنا لا أعرف الكثير عنهم والذي أعرفه مؤلم للغاية..مستحيل أن أذكر لك تلك الأشياء [سكت شاعراً بالخل]

الليدي برايتمورت: هل تقصد والدك؟

ستيفن: نعم.

الليدي برايتمورت: لا نستطيع المضي في حياتنا دون أن نذكره، أنت محق في عدم فتحك للموضوع إلا عندما طلبت منك ذلك، ولكنك بلغت سناً كافية لكي تجعلني أثق بك ولتساعدني في التعامل مع البنات.

ستيفن: لا مشكلة في البنات، لقد خطبن جميعاً.

الليدي برايتمورت[برضى]: نعم..خطيب سارة رجل رائع، سيصبح تشارلز لوماكس مليونيراً في عمر الخامسة والثلاثين، ولكن هذا بعد عشر سنوات، وفي هذه الفترة لن يستطيع الأوصياء على تنفيذ وصية أبيه إعطائه أكثر من ٨٠٠ جنيه سنوياً طبقاً لوصية والده.

ستيفن: ولكنها تذكر أيضاً أنه إذا تمكن من زيادة دخله بمجهوده الخاص فسيضاعفون له المبلغ.

الليدي برايتمورت: جهود تشارلز لوماكس ستسببُ بإنقاص دخله لا بزيادته ستجد سارة ٨٠٠ جنيه سنوياً خلال العشر سنوات القادمة، وسيكونان فقراء كفأري كنيسة، وماذا عن باربارا؟ أعتقد أنها ستوفق في عمل هام أكثر منكم

جميعاً ولكن ماذا فعلت؟ التحقت بجيش الخلاص^١ وصرفت خادمتها وتعيش على جنبه واحد أسبوعياً، وذهبت في إحدى الليالي مع أستاذ لغة يونانية التقت به في الشارع وادعى أنه من جيش الخلاص وشغف حباً بها بعد ذلك.

ستيفن: لقد دهشت عندما علمت بنبأ خطوبتهما، بالتأكيد إن كاسوس رجل لطيف جداً ولن يحزر أحد أبداً أنه ولد في أستراليا، ولكن..

الليدي برايممورت: أوه... أدولفوس كاسوس سيكون زوجاً صالحاً لها بالتأكيد، لا أحد يستطيع قول شيء ضد اليونان، فالإيوناني رجل مثقف، وشكراً لله أنه ليس أحد التوريون^٢ فنحن هويغيون^٣ نؤمن بالحرية، دع الناس تقول ما تشاء، باربارا ستتزوج الرجل الذي أريد أنا لا الذي يريدونه هم.

ستيفن: أنا أفكر في دخله، عموماً إنه ليس من النوع المبذر.

الليدي برايممورت: لا تكن شديد الثقة بهذا الأمر يا ستيفن، اعرف نمط الأشخاص أمثال أدولفوس الهادئين البسيطين المهبزين والشاعريين، إنهم يصرفون أكثر من الأشخاص المبذرين، أظن أن باربارا ستحتاج على الأقل

١- جيش الخلاص: منظمة شبه عسكرية لنشر الدين ومساعدة الفقراء، أنشأها في إنكلترا وليم بوت عام ١٨٦٥م.... المترجم.

٢- التوريون: تسمية تطلق على أعضاء حزب المحافظين البريطانيين.

٣- الهويغيون: تسمية تطلق على أعضاء حزب الأحرار البريطاني.

مبلغ ٢٠٠٠ جنيه سنوياً، أما أنت فيجب أن تتزوج قريباً، لا أحب موضة الشباب العزاب المتفشية حالياً، سأحاول إيجاد عروس مناسبة لك.

ستيفن: هذا لطف منك يا أمي، ولكنني أفضل إيجاد العروس بنفسي.

الليدي برايتمورت: لا..أنت صغير على إيجاد العروس بنفسك، ستعجبك إحدى الجميلات التافهات، طبعاً هذا لا يعني أنني لن أستشيرك.. [أغلق ستيفن عينيه وزمّ شفّتيه] لا تقطب جبينك يا ستيفن.

ستيفن: أنا لا أقطب جبريني يا أمي، ما علاقة كل هذا بأبي؟

الليدي برايتمورت: آه يا عزيزي ستيفن، من أين سنأتي بالمال؟ من السهل عليك أنت وشقيقاتك أن تعيشوا على دخلي طالما أنتم معي في نفس المنزل ولكنني لا أستطيع الصرف على أربع عائلات في أربع بيوت منفصلة، أنت تعرف مقدار فقر أبي، دخله يصل بالكاد إلى سبعمائة جنيه سنوياً، وبصراحة لو لم يكن إيرل ستيفينج لكان اعتزل الناس، إنه لا يستطيع عمل شيء لنا، ويقول: وهذا طبيعي جداً أنه لا يعقل أن يصرف على أطفال رجل غني، رأيت يا ستيفن، والدك غني بلاشك لأن هناك دائماً حرب تنشب في مكان ما من العالم.

ستيفن: لا داعي أن تذكريني بهذا يا أمي، لم أفتح جريدة في حياتي دون أن أرى اسمنا يذكر فيها، طوربيدات أندرشافت، مدافع أندرشافت السريعة، متاريس أندرشافت، غواصات أندرشافت، والآن طائرات أندرشافت..كان أصدقائي في

هارو وكامبريدج يذكرونني دائماً بذلك، حتى إن أحد الطلاب المشاكسين كتب تحت عبارة الإهداء التي كتبتها لي على الإنجيل الذي أهديتني إياه في عيد ميلادي " ابن ووريث أندرشافت ولازاروس المتعاملين بالموت والدمار" ولكن ذلك لم يكن على درجة كبيرة من السوء لأن الجميع كان يتملقني باعتباري ابن مليونير جمع ثروته من تجارة الأسلحة.

الليدي برايتمورت: لا تنس قروض الحرب التي قام بها لازاروس، هذه فضيحة يا ستيفن، هذان الرجلان أندرو أندرشافت ولازاروس كانت أوروبا طوع بنانهما، ولهذا يتصرف والدك بالطريقة التي يتصرف بها، إنه فوق القانون، هل تعتقد أن بيسمارك أو غلاستون أو ديزرائيلي كانوا يستطيعون عمل أكثر مما عمل والدك؟ إنهم لا يجرؤون..لم يستطع غلاستون ولا جريدة التايمز ولا اللورد تشامبرلين على فعل شيء ضده، لم يجرؤوا على ذلك.

ستيفن: وماذا بوسعهم أن يفعلوا؟ إنه لم يخرق القانون.

الليدي برايتمورت: لم يخرق القانون؟ إنه يخرقه دائماً، لقد خرق القانون منذ أن ولد إذ لم يكن والداه متزوجين.

ستيفن: أهذا صحيح يا أمي؟

الليدي برايتمورت: طبعاً صحيح..ولهذا انفصلنا.

ستيفن: لقد تزوج بدون أن يعلمك هذا.

الليدي برايتمورت: أوه..لا لكي لا أظلمه، إنه لم يفعل ذلك، كما أنك لا

تعرف شعار أندرشافت: لا تخجل من شيء ودع الجميع يعرفه.

ستيفن: ولكنك قلت: إن هذا هو سبب انفصالكما.

الليدي برايتمورت: السبب هو أنه لم يكتف بكونه ابن زنا، أراد أن تكون

أنت أيضاً ابن زنا، هذا الذي لم أتحمله..

ستيفن [شاعراً بالخل]: هل تقصدين...

الليدي برايتمورت: لا تتلعثم يا ستيفن، تكلم بوضوح.

ستيفن: ولكن هذا شيء مفزع يا أمي، كيف أتكلم معك بشيء كهذا!

الليدي برايتمورت: إنه ليس بالأمر المريح لي أيضاً، وخصوصاً أنك تشعر

بالخل وكأنك مازلت طفلاً، الطبقة الوسطى فقط يا ستيفن هي التي تشعر بأن

لا حول لها عندما تكتشف أن هناك أناساً أشراراً في العالم، في طبقتنا يجب أن

نقرر ما الذي يجب فعله مع الناس الأشرار دون أن نزعج أنفسنا، اسأل سؤالك

الآن بشكل لائق.

ستيفن: أمي..أليس لي اعتبار عندك؟ بحق الله إما أن تعامليني كطفل كما

تفعلين دوماً ولا تخبريني بشيء، أو أخبريني بكل شيء ودعيني أتصرف.

اللدي برايمورت: أعاملك كطفل؟! ماذا تقصد؟ هذا كلام غير لطيف.. أنت تعلم أنني لم أعامل أحداً منكم كطفل أبداً، لطالما اعتبرتكم أصدقائي وأعطيتكم حرية لتفعلوا وتقولوا ما تريدون.

ستيفن [يبأس]: إذا كنا الأطفال غير المثاليين لأم المثالية، أرجوك أن تدعيني وشأني ولو لمرة واحدة وتخبريني حول نية والدي تنحيتي من أجل ابن آخر.

اللدي برايمورت [مندهشة]: ابن آخر..! أنا لم أقل شيئاً كهذا، هذا تفسيرك لكلامي.

ستيفن: ولكنك قلت...

اللدي برايمورت [مقاطعة إياه]: كن ولدًا صالحاً يا ستيفن وأصغ إليّ، آل أندرشافت ينحدرون من لقيط كان في أبرشية سانت أندرشافت في المدينة، كان ذلك قبل وقت طويل أيام حكم الملك جيمس الأول، تبنى هذا اللقيط صانع أسلحة، وخلف هذا اللقيط والده بالتبني في عمله، وبسبب عرفان الجميل أو لسبب ما تبنى لقيطاً آخر وترك العمل له هو الآخر، ثم فعل ذلك اللقيط نفس الشيء، ومنذ ذلك الوقت تركت صناعة المدافع والأسلحة للقيط يدعى أندرو أندرشافت.

ستيفن: ولكن ألم يتزوجوا؟ أين أبناؤهم الشرعيون؟

الليدي برايتمورت: أوه..نعم تزوجوا كما فعل والدك واشتروا أراضي لأولادهم، إلا أنهم دائماً كانوا يتبنون طفلاً ويدربونه لكي يخلفهم في مجال عملهم، وطبعاً كانوا دائماً يتشاجرون مع زوجاتهم بشدة من أجل هذا، تم تبني والدك بهذه الطريقة واعتبر أنه يجب أن يحتفظ بهذه العادة كتقليد متبع ويتبنى طفلاً ما لكي يعلمه الصنعة ويخلفه فيها، طبعاً أنا لم أتحمل هذا، ربما كان يوجد سبب ما لذلك عندما لم يكن بوسع آل أندرشافت إلا التزوج من نساء من طبقتهم ولكن لا يوجد عذر لذلك الآن.

ستيفن: لا أستطيع إدارة مصنع للأسلحة.

الليدي برايتمورت: سخافة..تستطيع إيجاد مدير وتدفع له ثمن إدارته للمصنع.

ستيفن: والدي لا يثق بإمكانياتي.

الليدي برايتمورت: ولد..أنت مجرد طفل صغير..أندرو فعل ذلك وحرملك من إدارة المصنع لأنه يؤمن بمبدأ معين، لنفس المبدأ الذي يفعل من أجله أي عمل شريف، قال أندور ذات يوم لوالدي: إن التاريخ يخبرنا عن وجود مؤسستين ناجحتين فقط: شركة أندرشافت، والإمبراطورية الرومانية، وهذا هراء..

ستيفن: إذاً لقد انهارت حياتك الأسرية من أجلي يا أمي..أنا آسف.

الليدي برايتمورت: كان هناك اختلافات أخرى بيننا، لم أتحملة لأنه لم يكن رجلاً أخلاقياً، لا أحد منا كامل، أعرف هذا، ولكن والدك كان يقول أشياء غير أخلاقية، وكان دينه هو ارتكاب الإثم، كنتم ستتشؤون جميعاً بدون مبادئ جيدة بدون أخلاق، بدون معرفة الخطأ والصواب لو ظلّ معنا في المنزل، فقد كان جذاباً في بعض النواحي والأطفال يحبونه، وكان يستغل هذه الناحية لزرع الأفكار الشريرة في عقولهم.

ستيغن: هذه الأمور تربكني يا أمي، قد يختلف الناس في الرأي وفي الدين ولكن كيف يختلفون فيما هو صح وما هو خطأ؟! الصح هو الصح، والخطأ هو الخطأ.. وإذا كان المرء لا يستطيع التمييز بينهما فهو إما مغفل أو وغد.

الليدي برايتمورت [يتأثر]: أنت ولدي حقاً.. [تربت على خديه] لن يستطيع والدك الإجابة على هذا السؤال، كان سيضحك أو يحاول التهرب من الإجابة والآن بما أنك قد فهمت الوضع بماذا تنصحنني؟

ستيغن: ماذا يمكنك أن تفعلي؟

الليدي برايتمورت: يجب أن أحصل على المال بطريقة ما.

ستيغن: لا نستطيع أخذ المال منه، أفضل العيش في مكان رخيص مثل ساحة بيدفورد أو هامبستد على أن آخذ منه قرشاً واحداً.

الليدي برايتمورت: ولكن رغم كل شيء يا ستيفن مصروفنا الحالي يأتي منه.

ستيفن[مصدوماً]: لم أكن أعلم هذا.

الليدي برايتمورت: هل كنت تعتقد أن جدك لديه مال ليعطيني إياه؟ لا يستطيع آل ستيفينج إعطائك كل شيء..لقد منحناك المكانة الاجتماعية، ويجب على أندور المساهمة بشيء.

ستيفن[يمرارة]: إذا نحن نعتمد عليه وعلى أمواله المشبوهة كلياً.

الليدي برايتمورت: المسألة ليست بأخذ المال منه أم لا، المسألة ببساطة هي كم يعطينا، أنا شخصياً لم أعد أريد مالاً منه.

ستيفن: ولا حتى أنا.

الليدي برايتمورت: ولكن سارة تريد المال وكذلك باربارا، لأن تشارلز لوماكس وأدولفوس كاسوس سيكلفانها الكثير، ولذلك يجب أن أضع كبريائي في جيبي وأطلب المزيد من المال، أليست هذه هي نصيحتك يا ستيفن؟

ستيفن: لا.

الليدي برايتمورت[بحدة]: ستيفن..

ستيفن: طبعاً إذا كنت مصممة.

الليدي برايتمورت: أنا لست مصممة، أنا أطلب نصيحتك وأنا أنتظرها، لا أستطيع أن أتحمل كل المسؤولية وحدي.

ستيفن[يعناد]: أموت ولا أطلب منه المزيد من المال.

الليدي برايتمورت: تعني أن أطلب منه أنا، حسناً يا ستيفن..كما تريد، جدك متفق معي في الرأي ولكن يعتقد أنه من الأفضل أن أطلب من أندرو المجيء إلى هنا لرؤية البنيتين ثم أطلب منه فهو متعلق بهما بعض الشيء.

ستيفن: تطلبين منه المجيء إلى هنا؟!

الليدي برايتمورت: لا تكرر كلامي يا ستيفن، أين أطلب منه المجيء إذاً؟

ستيفن: لم أتوقع أن تطلبي منه المجيء إلى هنا إطلاقاً.

الليدي برايتمورت: لا تزعجني يا ستيفن، ألا ترى أنه من الضروري أن

يزورنا؟

ستيفن[رغمًا عنه]: أظن هذا..مادامت أختاي بحاجة ماسة إلى المال.

الليدي برايتمورت: شكراً لك يا ستيفن..كنت واثقة أنك ستصحني النصيحة

المناسبة عندما أشرح لك الوضع بطريقة جيدة، لقد طلبت من والدك القدوم إلى

هنا هذا المساء..[قفز ستيفن من مكانه واقفاً] لا تقفز هكذا يا ستيفن لقد

أفزعني.

ستيفن [مذهولاً]: تقصدين أن والدي قادم إلى هنا الليلة، وأنه سيصل في أية

لحظة؟

الليدي برايممورت [ناظراً إلى ساعته] قلت التاسعة [يشهق...تنهض من مكانها] اضغط الجرس من فضلك [يتجه ستيفن إلى طاولة صغيرة ويضغط زراً فيها] الساعة الآن التاسعة إلا عشر دقائق، ويجب أن أعد البنات، دعوت تشارلز لوماكس وأدولفوس على العشاء لكي يراهما أندرو [يدخل الخادم تتكلم معه الليدي] موريسون.. اذهب إلى غرفة الجلوس وأخبر الجميع ليأتوا إلى هنا.

[ينسحب موريسون، تستدير الليدي برايممورت نحو ستيفن] تذكر يا ستيفن أنني أحتاج إليك.. [يجلس وتجلس هي] لا أدري كيف ستواجه باربارا الأمر منذ أن أصبحت "ميجوراً" في جيش الخلاص باتت ميالة إلى أن تتصرف على راحتها وتتأمر على الناس، وهذا تصرف لا يليق بامرأة، عموماً باربارا لن تزعجني ولكن والدك سيحضر قبل أن يتسنى لها أن تحزم أمرها فيما إذا كانت ستقبله أم لا، لا تتوتر يا ستيفن فهذا سيثجع باربارا على خلق المشاكل لنا، أنا متوترة بما فيه الكفاية لكن لا أبدي ذلك.

تدخل سارة وباربارا وبصحبتهما تشارلز لوماكس، وأدولفوس كاسوس، سارة نحيلة الجسم ومملة، باربارا نشيطة وأكثر حيوية، سارة ترتدي ملابس تواكب الموضة، وباربارا ترتدي زي جيش الخلاص، لوماكس شاب يحب المزاح

كاسوس شاب يضع نظارات طبية، نحيل الجسم، عذب الصوت، متسامح لطيف
تدخل سارة وتجلس على الأريكة، تدخل باربارا بعدها وتقف عند الباب.

باربارا: هل سيدخل كولي ودولي؟

الليدي برايتمورت: باربارا.. لا تطلقي اسم كولي على تشارلز هذا اسم
وضيع يجعلني أشعر بالغثيان.

باربارا: حسناً يا أمي.. كولي على حق هل يدخلان؟

الليدي برايتمورت: نعم.. إذا أحسنا التصرف.

باربارا [عبر الباب]: ادخلا، دولي أحسن التصرف..

تقترب باربارا من طاولة الكتابة ويدخل كاسوس مبتسماً ويتقدم نحو الليدي
برايتمورت.

سارة [منادية] ادخل يا كولي [يدخل لوماكس بجدية ويجلس بين سارة
وباربارا]

الليدي برايتمورت: اجلسوا جميعاً.. [يجلس الجميع] لا أدري لماذا تضحك يا
أدولفوس.. أنا مندهشة.

كاسوس [بصوت لطيف] كانت باربارا تحاول تعليمي مشية جيش الخلاص
في ويست هام.

الليدي برايتمورت: لا داعي للضحك إذن، فهذا لا يُضحك.

كاسوس: أنت لم تكوني حاضرة، الأمر مضحك للغاية.

الليدي برايتمورت: أصغوا إليّ جميعاً، والدكم سيأتي إلى هنا هذا المساء..

[اندهاش عام] نهض لوماكس وسارة وباربارا..

لوماكس: أوه..

الليدي برايتمورت: لم أَسْتَدْعِكِ لنقول شيئاً يا تشارلز.

سارة: أنت تتكلمين بجدّ يا أمي؟

الليدي برايتمورت: طبعاً [تجلس سارة بانهايار، بدا تشارلز منزعجاً] هل

تعارضين ذلك يا باربارا؟

باربارا: أنا؟ ولم أعارض... يجب أن نسعى لخلاص روح والدي كأني شخص

آخر، أنا أرحب به هنا.. [تجلس إلى الطاولة]

لوماكس: ولكن حقيقة ألا تعلمين.. أوه..

الليدي برايتمورت: ماذا تريد قوله يا تشارلز؟

لوماكس: هذا شيء لا يطاق.

الليدي برايتمورت [مستديرة نحو كاسوس] أنت أستاذ لغة يونانية، ترجم ما يقوله تشارلز لوماكس إلى الإنكليزية.

كاسوس: أظن أن تشارلز أوضح ما نشعر به جميعاً، وقد استعمل هومر في معرض حديثه عن أوتوليكوس نفس العبارة.

لوماكس [متردد] أنا لا أمانع في ذلك إذا كانت سارة لا تمانع.

الليدي برايتمورت: شكراً، هل يجب أن أطلب موافقتك يا أدولفوس لدعوة زوجي إلى منزلي؟

كاسوس: لا..وأنا أؤيدك بلا تردد في أي شيء تفعليه.

الليدي برايتمورت: جيد، وأنت يا سارة هل لديك ما تقولينه؟

سارة: هل تقصدين أنه قادم ليعيش معنا هنا؟

الليدي برايتمورت: لا طبعاً، الغرفة الزائدة جاهزة إذا أراد قضاء يوم أو يومين معكم، لكن هناك حدود.

سارة: لا يستطيع أكلنا على ما أعتقد.

لوماكس [يضحك]: أتساءل كيف يفعل ذلك.

الليدي برايتمورت: والدكم غريب تماماً بالنسبة لكم.

لوماكس: أظن أنه لم يرَ سارة منذ أن كانت طفلة.

الليدي برايتمورت: نعم.

كاسوس: إذا أنت تقترحين بما أنه لم يرَ أولاده منذ أن كانوا صغاراً فسيحكم عليهم اليوم من خلال تصرفاتهم، ولهذا تريدين منا جميعاً أن نحسن التصرف معه وخصوصاً تشارلز.

الليدي برايتمورت: تماماً.

لوماكس: دولي.. الليدي لم تقل هذا.

الليدي برايتمورت: بل قلته يا تشارلز، من المهم جداً أن تحسن التصرف الليلة، وأرجو منك أن لا تجلس في زاوية وتضحك أو تهمس في أذن من هو إلى جانبك أثناء تكلمي مع والدك.

باربارا: حسناً يا أمي.. سنفعل ما تريدين.

الليدي برايتمورت: وتذكر يا تشارلز أن سارة تريد أن تشعر بالفخر بك لا أن تخجل منك.

لوماكس: أوه.. فهمت، لا يوجد شيء نفخر به.

الليدي برايتمورت: إذا حاول وتصرف كأنه يوجد ما تفخر به.

دخل موريسون شاحب الوجه مضطرباً.

موريسون: هل لي أن أتكلم معك على انفراد يا سيدتي؟

الليدي برايتمورت: أعلم ما تريد قوله، أدخله حالاً.

موريسون: نعم سيدتي [ينصرف]

لوماكس: ألا يعرفه موريسون؟

الليدي برايتمورت: طبعاً يعرفه، فموريسون معنا منذ وقت طويل.

لوماكس: إذا فقد اضطرب موريسون لأنه ينظر إليه على أنه شخص فائق القدرة.

الليدي برايتمورت: هل يوجد داعٍ لإثارة أعصابي بهذه الطريقة الآن يا تشارلز؟

موريسون [بالباب]: السيد أندرشافت [ثم انسحب مسرعاً]

يدخل أندرو أندرشافت، يقف الجميع، تستقبله الليدي برايتمورت في منتصف الغرفة.

أندرو ممتلئ الجسم، في الخمسينيات، لطيف وصبور وطلق المحيا، لطافته جزء من شخصيته القوية ويعرف كيف يتعامل مع الناس.

الليدي برايتمورت: عمت مساءً يا أندرو.

أندرشافت: كيف حالك يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: تبدو أكبر مما كنت عليه.

أندرشافت: نعم.. لقد كبرت بعض الشيء [يمسك يدها بلباقة] أما أنت فلازلت كما أعرفك.

الليدي برايتمورت [ساحبة يدها] لا.. هذا عائلتك.

أندرشافت [مستغرباً] إنها كبيرة بعض الشيء [يمد يده مصافحاً لوماكس]
لوماكس [مصافحاً إياه] أهلاً..

أندرشافت: أنت أكبر أولادي بلاشك، أنا سعيد للقائك مجدداً يا بني.
لوماكس: لا.. لست ابنك.

الليدي برايتمورت: أندرو.. أنسيت كم ولداً لديك؟!

أندرشافت: في الواقع.. لقد كبروا جداً منذ.... هل ارتكبت خطأ ما؟ أتذكر أنه
كان لدي ولد واحد، ولكن أشياء كثيرة حدثت منذ....

الليدي برايتمورت: أندرو.. هذا غياب.. لديك ولد واحد فعلاً.

أندرشافت: هلا عرفتني عليهم يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: هذا تشارلز لوماكس الذي خطب سارة.

أندرشافت: سيدي..أستمحك عذراً.

الليدي برايتمورت: وهذا ستيفن.

أندرشافت [حائياً رأسه] سعيد بالتعرف عليك يا سيد ستيفن..ثم [متجهاً نحو كاسوس] لابد أنك ابني..[ممسكاً بيده] كيف حالك يا بني..[إلى الليدي برايتمورت] إنه يشبهك كثيراً يا حبيبتني.

كاسوس: هذا إطراء لي يا سيد أندرشافت، أنا كاسوس خطيب باربارا، وهذه الميجور باربارا أندرشافت من جيش الخلاص، وهذه سارة ابنتك الثانية، وهذا ستيفن أندرشافت ابنك.

أندرشافت: ابني العزيز ستيفن..أستمحك عذراً لكوني لم أعرفك.

ستيفن: لا عليك.

أندرشافت: وشكراً لك يا سيد كاسوس على هذا التوضيح..[نحو سارة] باربارا يا حبيبتني.

سارة: أنا سارة.

أندرشافت: آه..نعم..سارة [صافحها واتجه نحو باربارا] باربارا صحيح؟

باربارا: نعم [يتصافحان]

الليدي برايتمورت: حسناً.. فلنجلس جميعاً، تفضل بالجلوس يا أندرو.. [يجلس

الجميع]

أندرشافت: شكراً لك يا حبيبتي.

لوماكس [فاتحاً حواراً معه] لقد استغرق منك معرفتنا بعض الوقت.

أندرشافت: نعم، ولكنني لا أشعر بالإحراج لذلك يا سيد لوماكس، المشكلة

أنني إذا لعبت دور الأب فسأبدو كغريب يتدخل فيما لا يعنيه، وإذا لعبت دور

الغريب فسأبدو كوالد وغد.

الليدي برايتمورت: لا داعي لكل هذا يا أندرو، كن صادقاً وعلى طبيعتك.

أندرشافت: نعم يا حبيبتي فهذا أفضل شيء.. آه والآن ماذا تريدون مني؟

الليدي برايتمورت: لا نريد شيئاً منك يا أندرو، أنت فرد من العائلة، اجلس

معنا واستمتع بهذا الجو الأسري.

نظرت باربارا إلى لوماكس وكشرت، فضحك بصوت خافت مثيراً لانتباه

الجميع.

الليدي برايتمورت [غاضبة] تشارلز لوماكس، إذا لا تستطيع التصرف بشكل

مؤدب غادر الغرفة.

لوماكس: أنا آسف جداً [يغير مكانه جالساً بين الليدي برايتمورت
وأندرشافت]

باربارا: اضحك عندما تريد يا كولي، فالضحك مفيد للصحة.

الليدي برايتمورت: باربارا، لقد حصلت على تربية راقية، أرجو أن تثبتي
ذلك لأبيك ولا تتكلمي بهذه الطريقة السوقية.

أندرشافت: لا عليكم مني، لا داعي للتصنع أمامي فأنا لست مثقفاً.

لوماكس: لا يظهر ذلك عليك، تبدو لي على خير ما يرام.

كاسوس: أنصحك بدراسة الأدب اليوناني يا سيد أندرشافت، فالذين يدرسونه
يحظون بمكانة مرموقة في المجتمع رغم أن قلائل منهم يعرفون اللغة اليونانية
أما اللغات الأخرى فهي مؤهلات نادلي المطاعم والتجار، اللغة اليونانية بالنسبة
للرجل ذي المكانة بمثابة الدمغة على حلي الفضة.

باربارا: لا تبالغ يا دولي، وأنت يا كولي اجلب آلتك الموسيقية واعزف شيئاً
لنا.

لوماكس [يقفز من مكانه بحيوية] هل تحب الموسيقى؟

أندرشافت: جداً..أنا أعشق الموسيقى.

لوماكس [بسرور] صحيح؟ إذا سأحضر آلتني [يخرج من الغرفة]

أندرشافت: هل تعزفين يا باربارا؟

باربارا: على الدف فقط، ولكن كولي يعلمني العزف على الكونسرتينا.^١

أندرشافت: وهل كولي أيضاً عضو في جيش الخلاص؟

باربارا: لا..يقول: إنه من العار أن ننشق عن الكنيسة الانكليكانية، ولكنني لم

أياس من كولي بعد، جعلته يحضر أحد اجتماعاتنا أمس.

أندرشافت [ينظر باستغراب إلى زوجته]

الليدي برايممورت: لا علاقة لي بهذا يا أندرو، باربارا كبيرة كفاية لتعرف

مصلحتها، كما أنه لا يوجد والد ينصحها.

باربارا: بلى لديها والد، لا وجود للأيتام في جيش الخلاص.

أندرشافت [مستهزئاً] وهل والدك هناك لديه أولاد كثيرون وخبرات واسعة؟

باربارا [ناظرة إليه باهتمام] تماماً، كيف عرفت هذا؟

[يُسمع صوت لوماكس عند الباب وهو يعزف على الكونسرتينا]

الليدي برايممورت: تعال يا تشارلز اعزف لنا شيئاً.

لوماكس: على الرحب والسعة [يبدأ بالعزف]

١- نوع من أنواع آلة الأكورديون الموسيقية....المترجم.

أندرشافت: انتظر لحظة يا سيد لوماكس، أنا مهتم جداً بجيش الخلاص
فشعاره هو نفس شعاري في الحياة: الدم والنار.

لوماكس [مصدوماً] ولكن ليس المقصود به الدم والنار الذي تعرفه.
أندرشافت: أقصد تطهير الدم والنار.

باربارا: وكذلك نحن، تعال غداً إلى مقري في ويست هام وانظر ماذا نفعل
سنسير في مظاهرة إلى الاجتماع الكبير في قاعة الاجتماعات في ميل ليند، تعال
وألق نظرة على مقرنا ثم سر معنا، فهذا سيفيدك كثيراً.. هل تعرف العزف على
آلة آلة.

أندرشافت: كنت أكسب المال في صغري من الرقص في الطرقات، وفيما
بعد أصبحت عضواً في جمعية الأوركسترا وأعزف على المترددة.^١
لوماكس [شاعراً بالخزي وواضعاً آله جانباً] أوه.. فهمت.

باربارا: كثير من الخاطئين يعزفون على المترددة، شكراً لجيش الخلاص.

لوماكس [إلى باربارا] نعم.. ولكن ماذا عن مصانع الأسلحة [إلى أندرشافت]
هل الخلاص هو جزء من اعتقادك؟

١ - آلة موسيقية تشبه البوق.

الليدي برايتمورت: تشارلز...!

لوماكس: ولكن لها أسبابها، أليس كذلك؟ أعني أن الأسلحة ضرورية في بعض الحالات، لا نستطيع العيش بدون أسلحة ندافع عن أنفسنا عند الضرورة ومن جهة أخرى هناك بعض الأقاويل عن جيش الخلاص، أنا أنتمي إلى الكنيسة الرسمية، وأرى أن ما يفعلونه هو ضد الدين، وخصوصاً الشعار الذي يطلقونه. أندرشافت: من الواضح أنك لا تحب ذلك الشعار يا سيد لوماكس.

لوماكس: نعم.

أندرشافت: أنا من جهتي أرى أنه كلما كانت الحرب أكثر دماراً كلما كانت أكثر روعة...! أنا لست خجلاً من عملي كتاجر أسلحة، والمال الذي أجنّيه من هذه التجارة أنفقه على المستشفيات والكاتدرائيات وأشياء محترمة أخرى، كما أنفقه على التجارب والأبحاث المتعلقة بإنتاج أسلحة أكثر تدميراً للأرواح والممتلكات، لذلك أفكاركم في إدارة الخد الثاني للذي صفعكم لا تجدي نفعاً معي.

باربارا: هلا ساعدتني لجلب الخلاص لك؟

أندرشافت: سأعقد صفقة معك، إذا ذهبت لزيارتك غداً في مقرك هل تأتين في اليوم التالي لزيارة مصانع الأسلحة خاصتي؟

باربارا: حذار..قد ينتهي بك المطاف إلى هجر صناعة الأسلحة من أجل
خاطر جيش الخلاص.

أندرشافت: أخشى أن لا يحدث العكس.

باربارا: سأجرب.

أندرشافت: وأنا سأجرب أيضاً [تصافحا] أين يقع مقرك؟

باربارا: في ويست هام، عند علامة الصليب، اسأل أي شخص وسيدلك، أين
تقع مصانعك؟

أندرشافت: في بيريفال سانت أندرو، عند علامة السيف، اسألي أي شخص
في أوربا.

لوماكس: ألا أعزف الآن؟

باربارا: نعم..اعزف "سيروا إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون"

لوماكس: إنها معزوفة جادة، سأعزف "أنت تمر من هنا يا أخي" فهي ألطف
منها.

باربارا: ولكنها حزينة جداً.

الليدي برايتمورت: كفاكم من هذا الحديث.

أندرشافت: ما به هذا الحديث يا حبيبتى؟

الليدي برايتمورت: حسناً كما تريدون..إذا كنتم تفضلون المقطوعات الموسيقية الجادة، تشارلز اعزف "من أجل الصلاة" [ذهل الجميع]
لوماكس: أوه..

أندرشافت [ناهضاً] يجب أن أذهب الآن.

الليدي برايتمورت: لا تستطيع الذهاب الآن يا أندرو هذا غير لائق، اجلس
ماذا سيقول الخدم لو ذهبت الآن!

أندرشافت: إذا اسمعوا اقتراحي، ستتجز باربارا صلوات خفيفة في غرفة
الاستقبال مع لوماكس الذي سيعزف لها وسأحضرها أنا عن طيب خاطر، حتى
إنني سأشارك فيها بالعزف على المترددة.

الليدي برايتمورت: لا تسخر من هذا يا أندرو.

أندرشافت [مصدوماً لباربارا] أرجو أن لا تظني أنني أسخر منك يا حبيبتى.
باربارا: لا طبعاً..ولا يهمني حتى لو استهزأت بي، فنصف أعضاء جماعتنا
كانوا كذلك [نهضت من مكانها] تعالوا...[ثم وضعت يدها حول عنق والدها
ونادت على الآخرين] تعال يا دولي، تعال يا كولي..نهض كاسوس.

الليدي برايتمورت: كيف يعصيني الجميع؟! اجلس يا أدولفوس [ظلّ واقفاً]
تشارلز اذهب أنت... أنت لا تصلح لسماع الصلوات فقد يغالبك الضحك.

لوماكس: أوه... [يخرج لوماكس]

الليدي برايتمورت [مكملة كلامها] أنت تستطيع التصرف بشكل لائق يا
أدولفوس إذا أردت ذلك.. ابق هنا.

كاسوس: عزيزتي الليدي برايتمورت توجد أشياء في كتاب صلوات العائلة
لا أطيق سماعها منك.

الليدي برايتمورت: مثل ماذا؟

كاسوس: ستقولين أمام الخدم إننا فعلنا أشياء كان يجدر بنا عدم فعلها، ولم
نفعل أشياء كان يجب فعلها، ولا أستطيع تحمل هذا، سأذهب إلى غرفة
الاستقبال.

الليدي برايتمورت [بانزعاج] حسناً.. اذهب.. [يتحرك نحو الباب] وتذكر يا
أدولفوس [يستدير نحوها] لدي إحساس قوي أنك التحقت بجيش الخلاص من
أجل باربارا فقط.

كاسوس [يضحك ويخرج]

الليدي برايتمورت: سارة..إذا أردت الذهاب فاذهبي..هذا أفضل من الجلوس
هنا شاردة الذهن.

سارة [ضاحكة] حسناً يا أمي..[تخرج]

تجهش الليدي برايتمورت بالبكاء..

ستيفن [يتقدم نحوها] أمي...لم البكاء؟ ما الأمر؟

الليدي برايتمورت [مكفكة دموعاً بمنديلها] لا شيء..اذهب معهم إذا أردت
واتركني مع الخدم.

ستيفن: أوه...لا تقولي هذا يا أمي..أنا...أنا لا أحبه.

الليدي برايتمورت: يحبه الآخرون..وهذا منتهى الظلم، تربي الأم أطفالها
وترعاهم ثم يأتي الأب الذي لم يفعل شيئاً سوى تدليلهم ويسرق حبهم لي.

ستيفن: لم يسرق حبنا لك..إنه الفضول فقط.

الليدي برايتمورت [يعنف] لا أريد مواساة من أحد يا ستيفن [تنهض وتتوجه
نحو الباب]

ستيفن: إلى أين أنت ذاهبة يا أمي؟

الليدي برايمورت: إلى غرفة الاستقبال طبعاً [تخرج] هل أنت قادم يا

ستيفن؟

ستيفن: لا..طبعاً لا.. [تخرج ويظل ستيفن والانزعاج بادٍ عليه].

الفصل الثاني

جيش الخلاص

فناء مقر جيش الخلاص في ويست هام، المقر عبارة عن مبنى قديم به باب في الطابق الأرضي ودون شرفات في الطوابق العليا، يجلس في الفناء إلى جانب الباب رجل وامرأة وبجانبهما طاولة بها بعض الأوراق يأكلان وجبة مؤلفة من كسرة ثخينة من الخبز وكوب من الحليب.

الرجل هو شاب عاطل عن العمل قادر على فعل أي عمل بعيد عن النزاهة المرأة بالية الثياب تبدو عليها التعاسة، تبدو كأنها في الستين من العمر رغم أنها لم تتجاوز الخامسة والأربعين، أخذ الرجل جرعة من كوبه ثم وقف وراح يمشى جيئةً وذهاباً وقد وضع يديه في جيبه.

المرأة: هل تشعر بتحسن الآن بعد أن تناولت الوجبة يا سيدي؟

الرجل: لا..أدعِين هذا الطعام وجبة..؟! إنها جيدة بالنسبة لك فقط ربما ولكنها ليست كذلك بالنسبة لي، أنا العامل الذكي.

المرأة: عامل؟ ما هي مهنتك؟

الرجل: دهان.

المرأة [دون أن تصدقه] نعم.

الرجل: قد تقولين لنفسك: إن كل عاطل عن العمل يدعي أنه دهان، ولكنني دهان حقيقي، كنت أتناقض ثمانية وثلاثين جنيهاً أسبوعياً عندما كنت أعمل.

المرأة: ولماذا لا تذهب وتتقاضى مثل ذلك المبلغ الآن؟

الرجل: سأخبرك لماذا، أولاً: لأنني ذكي..أوف..البرد قارس هنا [يجري في مكانه بغية تدفئة نفسه] وهذا ما لا يحبه الرأسماليون، ثانياً: الرجل الذكي يجب أن يشمل عندما يعمل، ولهذا أشرب كثيراً أثناء العمل عندما تسنح لي الفرصة ثالثاً: أنا أترفع عن سائر العمال وأدعهم يعملون أكثر مني، ورابعاً: أنا ذكي كفاية لكي أفعل ما يفعل الرأسماليون عندما تسنح لي الفرصة فأسرق كل ما أستطيع سرقة، وعندما أكون مع الشرفاء أكون عاقلاً ومتزناً وشريفاً، أي إنني أفعل كما يفعل الرومان عندما أكون في روما، مثلما يقول المثل، وما هي النتيجة، عندما ساءت أحوال التجارة طردت من عملي.

المرأة: ما اسمك؟

الرجل: برايس، برونز أوبرين برايس، أدعى برايس النفاج اختصاراً.

المرأة: مثل سنوبي النجار..؟ ولكنك دهان.

برائيس: لا..ليس ذلك النوع من التكبر، بل النوع الراقى، أنا ذكى جداً لكون والدي كان يحسن القراءة ويمتلك متجراً لبيع أدوات الكتابة، ويُحسن للفقراء ولست مثلكم [يعود ويجلس في مكانه ويمسك بكأس الحليب] ما اسمك؟

المرأة: رومي ميتشنس.

برائيس [معطياً إياها ما تبقى من كوب الحليب خاصته] هاك يا آنسة ميتشنس.

رومي [مصححة] السيدة ميتشنس.

برائيس: أوه..رومي..امرأة متزوجة محترمة، هرعت إلى طلب مساعدة جيش الخلاص بادعائك أنك امرأة سيئة السمعة، نفس الحيلة القديمة.

رومي: وماذا أفعل إذا؟ كنت أتصور جوعاً، فتيات جيش الخلاص رائعات حقاً ويروق لهن أن يعتقدن أنك كنت في حالة يرثى لها قبل أن ينفذنك.

برائيس: ليتني أعمل معهن، رومي..ما معنى رومي؟ هل هو اسم حيوان

مدلل؟

رومي: إنه اختصار رومولا.

برائيس: ومن هي رومولا؟

رومي: رومولا..إنها إحدى بطلات الكتب، تمنى أُمي أن أكون مثلها.

برائيس: لقد جمعنا الحظ العاثر يا رومي، كلانا لا يستطيع أحد لفظ أسمائنا.

رومي: من أنقذك يا سيد برايس؟ الميجور باربارا؟

برائيس: لا..جئت إلى هنا بمحض إرادتي، سينقذني نصير الدهانين، سأخبره أنني سيئ ومقامر وأضرب أمي العجوز فهذا يروق لهم.

رومي [مصدومة] هل كنت تضرب أمك؟!

برائيس: لا..هي التي كانت تضربني، تعالي واسمعي كلامي معهم، سأخبرهم كيف كنت سيئاً وسكيراً أنهال على أمي ضرباً عندما أعود سكران إلى المنزل.

رومي: كلامك كله أكاذيب مثل كلامي.

برائيس: صحيح، وهل تعتقدين أن جيش الخلاص سيسعى إلى خلاصي لو تكلمت الحقيقة؟ لا..سألعب معهم اللعبة التي يفضلونها، وأجعلهم يعتقدون أنهم أنقذوني.

رومي: لن يدعوك تشمل مجدداً.

برائيس: لا داعي لذلك مادمت أتسلى بطريقة غير هذه.

تدخل جيني هيل وهي فتاة جميلة في الثامنة عشرة من جيش الخلاص من بوابة المقر ومعها بيتر شيرلي وهو رجل مسن أنهكه الجوع يرتدي أسماً بالية.

جيني: ادخل..تمالك نفسك..سأعطيك شيئاً تأكله، ستصبح على ما يرام.

برايس [ينهض ويسرع لمساعدة بيتر] مسكين هذا الرجل، هون عليك يا
أخي ستجد الراحة والسلام والسعادة هنا، أسرعى بإعداد الطعام يا آنسة [تدخل
جيني مسرعة إلى المقر] ابتهج يا عم ستحضر لك هذه الفتاة كسرة من الخبز
وكوباً من الحليب [يجلسه إلى زاوية الطاولة]

رومي [مبتهجة] ابتهج يا والدي ولا تمت.

شيرلي: أنا لست عجوزاً، عمري ٤٦ عاماً فقط، أنا بصحة جيدة، شعري
شاب قبل أن أبلغ الثلاثين، كل الذي أريده هو ثلاثة بنسات لأصبغ شعري، يا
إلهي..! لقد عملت عشر ساعات يومياً منذ أن كنت في الثالثة عشرة وأصبحت
في الشارع ليحل محلي شاب لا يتقن العمل أكثر مني، وكل ذلك لأنني أصبحت
أشيب الشعر.

برايس: لا فائدة من النواح والعيول الآن، سيعطونك وجبة الآن لتتقات بها
[تدخل جيني ويدها الوجبة المعتادة] تفضل يا أخي.

شيرلي [ناظراً إليها بنهم دون أن يلمسها، ثم يجهد بالبكاء كالأطفال] أنا لم
أخذ أي شيء من أحد من قبل.

جيني [مواسية إياه] هيا..كفاك بكاء، الرب أرسله إليك، كما أنه يمكنك سداد
ثمن الطعام إذا أردت عندما تجد عملاً.

شيرلي: نعم..هذا صحيح، سأدفع لكم ثمن ما أكلت [ثم استدار نحو الوجبة وأكلها بنهم]

جينى: كيف حالك يا رومي، ألم تصبـحي أفضل؟

رومي: فليباركك الرب، كم أنت رائعة..لقد أطعمت جسدي وأنقذت روحي [جينى تقبلها بتأثر] اجلسي وارتاحي قليلاً.

جينى: لقد أنهكت نفسي منذ الصباح، هناك الكثير من العمل..لا وقت للراحة.

رومي: صلي لدقيقتين وستصبحين أفضل حالاً.

جينى: أوه..أليس رائعاً كيف تحييـك صلاة دقيقتين من جديد..أصبت بدوار الساعة الثانية عشرة، كنت متعبة جداً، ولكن الميجور باربارا أرسلتني لأصلي لمدة خمس دقائق وعدت بعدها لأعمل بنشاط كأنني بدأت لتوي [إلى برايس] هل تناولت كسرة من الخبز؟

يدخل بيل ولكر في هذه الأثناء، عمره ٢٥ عاماً، ينظر إلى جينى..

برايس: نعم.

جينى: وهذا ما يسعدني، أشعر بالذنب عندما أتوانى هنا، يجب أن أعود للعمل.

تُسرع نحو داخل المقر فيوقفها القادم الجديد، تخاف من طريقة إيقافه إياها فتتراجع بضع خطوات إلى الوراء..

بيل: أنا أعرفك.. أنت التي أخذت ابنتي وجعلتها تتمرد عليّ...أريدها الآن أين هي؟ سألقنها درساً، أخبريها أن بيل ولكر يريدانها، ومن الأفضل أن لا تدعيني أنتظر طويلاً، هيا أرشديني إليها [يمسكها من ذراعها ويجرها نحو مدخل المقر..تقع على ركبتيها، تسرع رومي وتساعدانها على الوقوف]

برائيس[ينهض ويتقدم بتصميم نحو بيل] هونّ عليك يا رجل، اهدأ قليلاً، لم تؤذك بشيء..

بيل: من أنت لتخاطبني بهذه الطريقة؟! [يقف مهدداً إياها] هل سترسلها لي أم أضع نهاية لحياتك.

رومي [مسرعة نحوه لتوبيخه] أوه..أيها الوحش..[يرفع يده ويهوي على وجهها، تصرخ وتتراجع إلى الخلف مخفية وجهها بيديها وتئن من الألم]
جيني [تذهب نحوها] أوه..سامحك الرب، كيف تضرب امرأة عجوزاً بهذه الطريقة؟!
الطريقة؟!

بيل [ممسكاً إياها من شعرها بعنف يجعلها تصرخ ومبعداً إياها عن المرأة العجوز] ابدئي بالصلاة لمدة أسبوع ليسامحك الرب [مستديراً بوحشية نحو برايس] وأنت..ألديك ما تقوله لي؟

برايس [بجبن] لا أيها الأخ لا علاقة لي بهذا.

بيل: تصرف جيد.. [إلى جيني] والآن أحضري لي موغ وإلا ضربتك.

جيني: أوه..فليحضرها أحدهما من الداخل [يدخل برايس ورومي بسرعة إلى الداخل بينما يمسكها بيل من شعرها]

بيل: هل ستخبرين الميجور باربارا عني؟

جيني: أوه..أرجوك لا تجرني من شعري..اتركني.

بيل: هل ستخبرينها؟ [تصرخ صرخة خافتة] نعم أم لا؟

جيني: فليعطني الرب القوة..

بيل [لاكماً إياها على وجهها] اذهبي وأريها هذا وأخبريها إذا أرادت لكمة هي

الأخرى فلتخرج إليّ.. [جيني تبكي من الألم، تدخل المقر، يخاطب الرجل الآخر] وأنت كل وجبتك وابتعد عن طريقي.

شيرلي: [ينتفض وأفقاً ويواجهه بغضب والكوب بيده] حاول الاقتراب مني
وسأحطم وجهك بهذا الكوب، وأفقاً عينك.. ألم تكتفِ أيها الحقير الصغير؟! ألم
يكفك أنك أخذت لقمة الخبز من أفواه من تعيلهم فجئت مزمجرأ ومزعجاً من
أحسنوا إليك.

بيل: كفك نباحاً أيها العجوز عديم الفائدة.

شيرلي: أنا أفضل منك، كنت أعمل بجد أكثر منك قبل أن يطردوني من
عملي لأنني بلغت الخامسة والأربعين، ولكنني واثق أنني سأجد عملاً ما يناسب
سني بسرعة، اذهب واعمل بدل تضييع وقتك وجهك سدى، وضرب النساء
المحترمات.. ماذا تعرف عن الحياة؟

بيل: لا تثرني كيلا أضربك أنت الآخر.

شيرلي [بازدراء] تحب ضرب كبار السن أليس كذلك؟ لم أرك تضرب شاباً
بعد أن ضربت النساء أيها الجبان.

بيل [متحفظاً] أيها الكاذب العجوز.. ألم ترني وأنا أهدد ذلك الشاب؟

شيرلي: ولكنه كان يتضور جوعاً، جاء يستجدي كسرة خبز، هل تستطيع
ضرب زوج ابنة أخي؟

بيل: من هو؟

شيرلي: إنه تودجر فيرمل من بولز بوند، لقد ربح ٢٠ جنيهًا من جراء ضربه للمصارع الياباني في قاعة الموسيقى، لقد جابهه لمدة ١٧ دقيقة و٤ ثوان.

بيل: لا أجيد المصارعة، هل يجيد الملاكمة؟

شيرلي: نعم..وأنت لا تجيدها.

بيل [مهدداً] ماذا؟ أنا لا أجيدها؟ أنا لا أجيد الملاكمة؟ ماذا تقول؟

شيرلي [دون خوف] هل تقبل أن تلاكم تودجر فيرميل إذا؟

بيل [بافتخار] سأقف في وجه أي رجل حتى ولو كان مثل تودجر هذا بعشر

مرات، ولكن لا تقل لي: إنني لست محترف ملاكمة.

شيرلي [ناظراً إليه باحتقار] أنت تلاكم؟! لم تفعل شيئاً سوى أن لكمت امرأة

عجوزاً، حتى ضربك إياها لم يكن به أي مقدار من الحرفية أيها الجاهل الساذج

ضربت المرأة فراحت تصيح، لو ضربها تودجر فيرميل لأغمي عليها لمدة

عشر دقائق كاملة، وكذلك الأمر لو ضربك أنت، حتى أنا سأهاجمك لو لم أكن

أتصور جوعاً منذ أكثر من شهر [ثم أدار ظهره إليه وجلس إلى الطاولة]

بيل [يلحق به ويقف إلى جانبه] إذا جئت تشخذ الخبز من هنا.

شيرلي [يجهش بالبكاء] أوه يا رب..جئت أشد مثل سائر المحتاجين
[يغضب] ولكنك ستصبح مثلي قريباً جداً بأسرع ما تتصور، أيها السكير الثمل.
بيل: أنا لست سكيراً، ولست ثملاً [يندفع نحو باب المقر] سأدخل وأحضر
ابنتي.

شيرلي: سيخرجون الشراب من رأسك عندما تدخل إلى المقر، انتبه لما
تفعل، الميجور هنا هي حفيدة إيرل ستيفينج.
بيل: لا..

شيرلي: سترى.

بيل: أنا لم أفعل شيئاً لها.

شيرلي: وإذا قالت إنك فعلت من سيصدقك؟

بيل: جبناء..لا يوجد عدالة في هذا البلد، يستطيع أولئك الناس فعل ما
يريدون.

شيرلي: ادخل وقل لها ذلك، هذا ما يفعله الأغبياء أمثالك..

تخرج باربارا بنشاط من المقر، تبدو منشغلة وبيدها دفتر، تقدم نفسها لشيرلي
وبيل الذي يجلس بجبن ويدير ظهره لهما.

باربارا: صباح الخير.

شيرلي: [يقف ويخلع قبعته] صباح الخير يا آنسة.

باربارا: اجلس، تصرف وكأنك في منزلك [يتردد تربت على كتفه وتجعله يجلس] والآن بعد أن أصبحنا أصدقاء أريد أن أعرف كل شيء عنك.. اسمك وعنوانك وصنعتك.

شيرلي: اسمي بيتر شيرلي، طردت من عملي قبل شهرين لأنني أصبحت عجوزاً.

باربارا: [بدون استغراب] أرى أنك مازلت تصلح للعمل، لم لا تصبغ شعرك؟
شيرلي: فعلت ولكن لم أفلح في إخفاء عمري.

باربارا: هل ترتجف يداك؟

شيرلي: أبداً.. أنا ممتنع عن تناول المسكرات نهائياً، ولم يسبق لي أن طردت من عملي، وأعمل بجد، كما أنني عامل ماهر.

باربارا: إذاً لا عليك، سيتولاك الرب برعايته.

شيرلي: وما دخل الدين بهذا؟!!

باربارا: هل أنت لا ديني؟

شيرلي: وهل ذكرت لك أنني لا ديني؟

باربارا: لا تخجل حتى لو كنت "لا دينياً"، والذي هو الآخر لا ديني، لذلك لا عليك يا بيتر سنجد لك عملاً [يرتبك شيرلي ويلمس قبعته بيده، تستدير نحو بيل] ما اسمك؟

بيل: وما دخلك باسمي؟

باربارا [تدون في دفترها] يخشى من إعطاء اسمه.. هل تعمل..؟

بيل: يخشى من إعطاء اسمه [يقهقه] هل تريدان إدانتي بشيء؟ [تنتظر إليه بهدوء] إذا سجلي اسمي بيل ولكر.

باربارا: بيل ولكر..؟ أذكر أنني سمعت هذا الاسم من قبل.. أوه أنت الرجل الذي كانت جيني هيل تدعي عليه قبل قليل [تكتب اسمه في دفترها]

بيل: جيني هيل؟ ولماذا تدعي عليّ؟

باربارا: لا أدري.. هل أنت الذي جرحت شفتها؟

بيل: نعم أنا.. وأنا لست خائفاً منك.

باربارا: ولم تخاف مني بما أنك لا تخاف من الرب، أنت رجل شجاع يا سيد ولكر ولكن لا أحد منا يجرؤ على رفع يده على امرأة خوفاً من الرب في السماء.

بيل: أنا لا أريد خبزكم، ربما كنت تعتقدين أنني جئت أشحذ منك كسائر
البؤساء هنا..أنت مخطئة.

باربارا: أوه...عفواً لأنني دونت اسمك في دفترتي يا سيد ولكر، سأمسحه.

بيل [يأخذ الأمر على محمل الإساءة له] دعي اسمي وشأنه، لمَ تريدين أن
تمسحيه؟

باربارا: لأنه لا داعي لتدوينه في دفترتي ما لم يكن هناك فائدة من ذلك، ماذا
تعمل؟

بيل [متذاكياً] هذا ليس شأنك.

باربارا: صحيح..[تدون في دفترها] سأدون أمام اسمك الرجل الذي ضرب
جيني هيل على فمها.

بيل [ينهض مهدداً] اسمعي أنت، لقد سئمت هذا.

باربارا [بهدوء ودون أن تخاف منه] إذا لماذا جئت إلى هنا؟

بيل: جئت من أجل ابنتي أفهمت؟ جئت لأخرجها من هنا ولأضربها.

باربارا [بهدوء] إذا أنا كنت محقة في تحديد نوع عملك [يجلس بيل شاعراً
بالخجل فجأة] ما اسمها؟

بيل: اسمها هو موغ هايبجام.

باربارا: موغ هابيجام؟ أوه..لقد ذهبت إلى ثكنتنا في كانينغ تاون.

بيبل: صحيح؟ إذا سأذهب إلى هناك [ينهض متجهاً نحو البوابة بتردد قليلاً

ثم يعود إلى باربارا] هل ستمنعيني من الذهاب إلى هناك؟

باربارا: لا..لن أمنعك من الذهاب إلى هناك إذا أردت ذلك، رغم أنني أود

إبقاءك هما لإنقاذ روحك، يستحسن أن تظل هنا.

بيبل: بل سأذهب إلى كانينغ تاون وأبحث عن موغ، والويل لك إذا لم أجدها

هناك، يُستحسن أن تتلى جميع الصلوات التي تعرفينها عندها.

باربارا: لا فائدة من الذهاب إلى هناك يا بيب، لقد حصلت على رجل لها.

بيبل: ماذا؟!!

باربارا: الشخص الذي أحضرها إلى هنا ودل روحها على طريق الهداية وقع

في حبها بعد أن غسلنا وجهها وشعرها، لقد كانت متسخة للغاية.

بيبل: ولماذا تنظفونها؟!!

باربارا: أصبحت أجمل الآن، وبانت تلك النظرة الجديدة في عينيها، لقد

تأخرت كثيراً للأسف..لقد ذهبت مع الرجل الذي أحبها.

بيبل: سألكمه على أنفه، وسألقنها درساً قاسياً، كيف تتركني هكذا وكأنني

قذارة..؟ ما اسمه؟

باربارا: السير جنت تودجر فيرميل.

شيرلي [ينهض واقفاً] سأبحث عنه يا آنسة، وسألقنه درساً هو الآخر.

بيل [إلى شيرلي] أليس هو ذلك الشاب الذي كنت تتكلم عنه؟

شيرلي: هو بعينه.

بيل: ذلك الذي كان يصارع في قاعة الموسيقى؟

شيرلي: نال من مسابقات المصارعة تسعمائة جنيه، وقد توقف عن

المصارعة الآن وكرّس وقته للدين، وتجده بحاجة إلى بعض التدريب الآن

ليستعيد نشاطه، ولا يمانع أبداً في التدريب عليك.. تعال معي.

بيل: كم وزنه؟

شيرلي: مائة كيلو [تفتر همهة بيل]

باربارا: اذهب وتكلم معه عله يهديك.

شيرلي: سيجعل من رأسك حبة بطاطا مسحوقة.

بيل [مقطب الجبين] أنا لست خائفاً منه، أنا لست خائفاً من أحد [ثم يجلس في

مكانه]

شيرلي: لن تذهب إذأ.. لقد توقعت هذا [يعود إلى مكانه]

باربارا [منادية] جيني.

جيني: تظهر عند باب المقر وقد ألصقت شفرتها بلصقة طبية] نعم أيها الميجور.

باربارا: أرسلني رومي ميتشنس لتنظف هذا المكان.

جيني: إنها خائفة.

باربارا: كفاك هراء، يجب أن تفعل ما أطلبه منها.

جيني: [تنادي من الباب] رومي...الميجور تريد أن تراك.

تخرج جيني وتتقدم من باربارا محتفظة بمسافة بينها وبين بيل.

باربارا: مسكينة يا جيني، هل تشعرين بالتعب؟ [تنظر إلى جرحها] هل يؤلمك؟

جيني: لا...لم يعد يؤلمني.

باربارا: لقد ضربك بقوة، هل أنت غاضبة منه؟

جيني: لا..لم أعد غاضبة منه، فليسامحه الرب [تقبلها باربارا ثم تتجه

مسرورة نحو المقر، تخرج رومي من المقر]

باربارا: خذي هذه الصحن والأكواب إلى الداخل لكي يغسلوها، وارم فتات الخبز للطيور.

رومي تأخذ الأطباق الثلاثة والأكواب، يحتفظ شيرلي بكوبه لأنه لم ينته من شربه بعد.

رومي: لا يوجد بقايا خبز.

برايس [يخرج من باب المقر] يوجد رجل بالداخل جاء لزيارة المقر يا ميجور، يقول: إنه والدك

باربارا: حسناً..أنا قادمة [يعود برايس إلى الداخل وتلحق به باربارا]

رومي [مخاطبة بيل] أنت لست رجلاً محترماً لأنك ضربت امرأة [لم يرد بيل لأنه كان مشغولاً بالتفكير بأمور أخرى]

شيرلي: ادخلي يا امرأة ولا تجلبي لنفسك المزيد من المتاعب.

رومي: لا شأن لك بي [تدخل المقر وييدها الأطباق]

شيرلي: وهذا الـ...

بيل [بوحشية] لا تتكلم معي أسمع؟ دعني وشأني وإلا نالك مني ما لا ترضى.

شيرلي [بهدهوء] سآدعك وشأنك، عموماً أنت لست هذه الصلبة التي يسعى
المرء إليها [على وشك الدخول عندما تخرج باربارا ومعها أندرشافت]

باربارا: أوه..هأنت ذا يا سيد شيرلي [تخاطبه بصوت خافت] هذا والدي
أخبرتكَ أنه لا ديني، ربما سيرحك أن تعرف هذا.

أندرشافت [مستغرباً] لا ديني! أبداً على العكس تماماً بل أنا متصوف.

باربارا: آسفة..بالمناسبة يا أبي ما هو دينك؟ في حال اضطرت لتعريفك
على أحد ما.

أندرشافت: ديني؟ حسناً يا ابنتي..أنا مليونير..هذا هو ديني.

باربارا: إذا لا داعي لتعريفك على السيد شيرلي، أنت لست مليونيراً يا سيد
شيرلي أليس كذلك؟

شيرلي: نعم..وأنا فخور بذلك.

أندرشافت: الفقر ليس مدعاة فخر لأحد يا صديقي.

شيرلي [غاضباً] ومن جعلك مليونيراً؟ أنا وأمثالي...ما الذي يبقينا فقراء؟
بقاؤك غنياً..لن أستبدل ضميري بضميرك ولا مقابل كل مالك.

أندرشافت: ولن أستبدل مالي بمالك ولا مقابل كل ضميرك يا سيد شيرلي [ثم
يجلس على أحد المقاعد]

باربارا [موقفة إياه لكونه على وشك الكلام] يبدو أنك لا تصدق أنه أبي..أليس

كذلك يا بيتر؟ هلا دخلت إلى المقر وساعدت السيدات هناك؟

شيرلي [يمرارة] نعم..سأساعدهن، يبدو أنني أدين لهنّ بوجبة.

باربارا: لا..ليس من أجل هذا، ولكن من أجلهن يا بيتر..[لم يفهم ما قالت]

لا تحديق بي هكذا..ادخل وساعدهن.

[يدخل شيرلي إلى المقر، تستدير باربارا نحو والدها]

أندرشافت: لا تشغلي بي يا ابنتي، تابعي عملك ودعيني أراقب ما يجري

هنا.

باربارا: حسناً.

أندرشافت: ما خطب الرجل الذي هناك؟

باربارا [تنظر إلى بيل الجالس في كآبة واضحة دون أن يتحرك] أوه

سأعالجه بسرعة لا تتوقعها، انظر..[تذهب نحو بيل وتقف، يرفع رأسه ناظراً

إليها ثم ينزله مجدداً إلى الوضعية التي كان عليها دون أن يغير نظرته الكئيبة]

سترتاح لو صفعت وجه موغ هايجام أليس كذلك يا بيل؟

بيل: لم أقل هذا، ما الذي يدريك ما الذي يجول بخاطري؟!

باربارا: إذا أنت تفكر بصديقك الجديد.

بيل: من تقصدين؟

باربارا: الشيطان يا بيل، عندما يتسلل إلى المرء فإنه يجعله تعيساً مثلك تماماً.

بيل [متصنعاً الابتسام] أنا لست تعيساً.

باربارا: إذا لم تكن تعيساً لماذا لا تبدو عليك السعادة مثلنا إذا؟

بيل: أنا سعيد أؤكد لك هذا، دعيني وشأني من فضلك..ماذا أخطأت بحقك؟ أنا لم أضربك.

باربارا [محاولة تهدئته] لست أنا الذي يسعى لخلاصك يا بيل.

بيل: من إذاً؟

باربارا: شخص لا يريدك أن تضرب النساء، شخص يريد أن يصنع منك رجلاً.

بيل: يصنع مني رجلاً؟ أأنت برجل؟! من قال: إنني لست برجل؟

باربارا: هناك رجل بداخلك على ما أظن، ولكن لماذا جعلك تضرب جيني هيل؟ هذا ليس عملاً رجولياً، أليس كذلك؟

بيل: لقد فعلت ما فعلت وانتهى، سئمت من التحدث بهذا الموضوع.

باربارا: إذا لماذا تفكر فيه؟! لماذا يشغل بالك إلى هذه الدرجة؟ لأنك لم تتلمس طريق الهداية بعد أليس كذلك؟

بيل: نعم.. هذا صحيح.

باربارا: لأنه لا قلب لك.

بيل: ماذا تقصدين؟ كيف أكون بلا قلب كسائر الناس؟!

باربارا: لأن الرجل الذي له قلب لن يضرب امرأة مسكينة مثل جيني على وجهها.

بيل [يكاد يبكي] أوه.. دعيني وشأني، لماذا تتدخلين فيما لا يعنيك؟ هل تدخلت أنا بشؤونك؟

باربارا [واضعة يدها على ذراعه مهدئة إياه] ضميرك هو الذي يؤنبك ويزعجك يا بيل، وليس أنا.. لقد مررنا بهذا جميعاً، تعال معنا يا بيل [ينظر حوله] لكي تصبح رجلاً حقيقياً على الأرض، ويكون لك المجد الأبدي في السماء [إنه على وشك أن ينهار] تعال [يُسمع صوت طبل من داخل المقر يعود بيل إلى طبيعته عندما تشيح باربارا بوجهها عنه ناظرة إلى الجهة التي يأتي منها الصوت، يدخل أدولفوس من باب المقر ويده طبلٌ فخّم] أوه....

هأنت ذا يا دولي..دعني أعرفك على أحد أصدقائي..السيد بيل ولكر..هذا رجلي

يا بيل..السيد كاسوس [يحييه كاسوس بإشارة من عصا الطبل التي بيده]

بيل: هل ستتزوجينه؟

باربارا: نعم.

بيل: فليكن الرب بعونه، فليكن الرب بعونه.

باربارا: ولماذا؟ هل تعتقد أنه لن يكون سعيداً معي؟

بيل: لا أحد يعلم.

كاسوس: ولكنني أحبها جداً.

بيل: لاشك في هذا [إلى باربارا] آه..هل تعلمين إلى أين سأذهب وماذا

سأفعل؟

باربارا: أنت ذاهب في النهاية إلى السماء، وستعود بعد أسبوع إلى هنا

لتخبرني هذا.

بيل: بل ذاهب لأبصق في وجه تودجر فيرميل، وأصفع جيني وسأعود

لأريك ذلك..ما رأيك يا سيد كاسوس؟

كاسوس [مفكراً] أنت محق يا سيد ولكر، هذا ما كان سيفعله أي إغريقي

قديم.

باربارا: ماذا تفعل؟

كاسوس: هذا سيسعد روح السيد ولكر وسيعطي المجال للسيد فيرميل أن يتدرب قليلاً لم لا؟

بيل: من أين جئت بكلمة "روح" هذه.. لا وجود لشيء كهذا.. هل يوجد روح في كل منا؟ أنا لم أرها في حياتي!

باربارا: رأيته تؤذيك عندما فعلت عكس ما تريد.

بيل: كفاك كلاماً لا أفهمه.. لقد أفسدت عقلي... [يخرج من البوابة]

باربارا [ناظرة إلى كاسوس] دولي.

كاسوس: نعم يا عزيزتي.. حبك متعب للغاية، لو دام أظن أنني سأموت صغيراً.

باربارا [تضحك بدلال] دولي صِفِ المقر لوالدي ليس لدي وقت [ثم تدخل إلى المقر]

ينظر أدولفوس إلى أندرشافت.

أندرشافت: هل أنت مهتم بجيش الخلاص؟

كاسوس: نعم.. جداً، ما هو دينك يا سيد أندرشافت؟

أندرشافت: شيئان مهمان للخلاص.

كاسوس: ما هما؟

أندرشافت: المال والبارود.

كاسوس [مندهشاً] هذا ما تؤمن به طبقتنا الحاكمة.

أندرشافت: تماماً.

كاسوس: ألا يوجد في عقيدتك أشياء على غرار الشرف، العدالة، الحقيقة
الصدق، الحب، الرحمة...

أندرشافت: نعم.. إنها من نعم الغني، القوة والحياة الآمنة.

كاسوس: ولو أجبر المرء على الاختيار بينها أو بين المال والبارود ماذا
تختار؟

أندرشافت: أختار المال والبارود لأن بدونها لا تستطيع الحصول على النعم
الأخرى.

كاسوس: أهذا هو معتقدك؟

أندرشافت: نعم.

يهز كاسوس رأسه وينظر ملياً إلى أندرشافت الذي ينظر بدوره إليه ملياً.

كاسوس: باربارا لا تحب هذا، يجب عليك أن تختار بين معتقدك هذا وباربارا.

أندرشافت: وكذلك أنت يا صديقي، سرعان ما ستكتشف أنك غير مهتم بجيش الخلاص بقدر اهتمامك بها.

كاسوس: أنت مخطئ يا سيدي، أنا متمسك جداً بمعتقدات جيش الخلاص أنت الذي لم تفهم تلك المعتقدات، إنه جيش الحب والسعادة والشجاعة، لقد طرد مخاوف وندم ويأس المعتقدات التبشيرية البروتستانتية، لقد سار بخطوات ثابتة لمحاربة الشر بالترومبيت والطبل، بالموسيقى والرقص، بالأيدي والرايات لكونه أصبح انطلاقة السماء، جميع المشردين جعل منهم رجالاً ونساءً حقيقيين [يعزف على الطبل]

أندرشافت: ستزعج كل من في المقر.

كاسوس: أوه..إنهم معتادون على هذا، إذا كان يزعجك الطبل [يتوقف عن العزف ويُنزل الطبل إلى الأرض]

أندرشافت: شكراً لك.

كاسوس: أتعرف ماذا قال بورو بيدس عن المال والبارود؟

أندرشافت: لا..ماذا قال؟

كاسوس [ينشد]

كلا المال والبارود يحاول أن يتفوق على الآخر

والرجال بملايينهم يتبخثرون هنا وهناك.

ويرون الآمال من خلال ملايينهم.

ويربحون في الحياة أو يخسرون.

وتتحقق آمالهم أو تخبو وتضمحل.

ولكن مع مرور الأيام يعرفون

أن العيش بسعادة هز الكنز الحقيقي

ما رأيك؟

أندرشافت: إذا كنت تريد رأيي فعلاً أقول: إن من يريد أن يعيش بسعادة فعلاً

يجب عليه أولاً أن يحصل على المال الكافي لحياة كريمة، وقوة كافية لتدافع عن

نفسك، وتمتلك قرارك.

كاسوس: أنت محبط فعلاً.

أندرشافت: باعتباري والد باربارا أود أن أسألك، كيف ستعيشان؟ ماذا

ستعمل؟

كاسوس: أنا مدرّس لغة يونانية، سنعيش من المال الذي أجنّيه من ذلك.

أندرشافت: وهل تعتقد أن زواجكما شيء جيد بالنسبة لها؟

كاسوس: سيد أندرشافت، ربما كنت تعتقد أنني لست الزوج المناسب لها ورغم أنني لا أحب الزواج وأخاف منه ولا أعرف كيف سأدير أموري معها إلا أنني أشعر أنني الوحيد المناسب لها والذي يجب أن أفوز بها.

أندرشافت: لقد أعجبتني.

كاسوس: وكذلك أنت.

[يتصافح الرجلان]

أندرشافت: والآن لنتكلم في العمل.

كاسوس: ماذا تقصد؟ كنا نناقش معتقداتك.. لماذا نتكلم بذلك الموضوع الممل.

أندرشافت: الدين هو عملنا حالياً، لأنه من خلال الدين سنكسب قلب باربارا.

كاسوس: وهل بت تحبها أنت الآخر؟

أندرشافت: نعم.. حب أبوي.. حب الوالد لابنته.

كاسوس: هذا مثير للاهتمام حقاً.

أندرشافت: شكراً..آه..أنا مليونير وأنت شاعر وباربارا مخلصّة المساكين، ما فائدة الغوغاء والأغبياء لنا نحن الثلاثة؟

كاسوس: انتبه..باربارا تحب الناس الذين تطلق عليهم أنت كلمة غوغاء وكذلك أنا..ألم تشعر أنت بذلك الحب؟

أندرشافت [ببرود واستهزاء] وهل تحب الفقر مثل سانت فرانسيس؟ أم تحب القذارة مثل سانت سايمون؟ أم تحب المرض والآلام كالممرضات؟ هذه المشاعر ليست فضيلة، ولكنها مشاعر غير طبيعية، كنت في الماضي رجلاً فقيراً من الغوغاء ولا يعني حب الفقر أي شيء بالنسبة لي، دع الفقراء يتظاهرون أن الفقر والتعاسة هي نعمة، نحن الثلاثة مكاننا ليس بينهم، وباربارا مكانها ليس في جيش الخلاص.

كاسوس: إذا كنت تعتقد أنه بوسعك إبعادها عن جيش الخلاص بالتكلم معها كما تكلمت معي الآن فأنت مخطئ ولا تعرف باربارا جيداً.

أندرشافت: يا صديقي أنا لا أستجدي ما أستطيع شراءه.

كاسوس: هل معنى هذا أنه بوسعك شراء باربارا؟

أندرشافت: لا..بل بوسعي شراء جيش الخلاص.

كاسوس: مستحيل تماماً.

أندرشافت: سترى..سبب بقاء جميع المنظمات الدينية هو بيع نفسها للأغنياء.

كاسوس: ولكن ليس جيش الخلاص، إنه كنيسة الفقراء.

أندرشافت: وهذا سبب إضافي لشرائه.

كاسوس: لا أظنك تعلم ما هي الخدمات التي قدمها جيش الخلاص للفقراء.

أندرشافت: بلى أعلم..لقد قلمتم أظافرهم وهذا كاف بالنسبة لرجل أعمال

مثلي.

كاسوس: لا..بل أبعدناهم عن شرب الخمر وجعلناهم مواطنين متزنين.

أندرشافت: وأنا أفضل العمال المتزنين الذين لا يعاقرون الخمر، عملهم

أفضل.

كاسوس: الشرف..

أندرشافت: العامل الشريف اقتصادي أكثر.

كاسوس: أنت وغد عجوز.

أندرشافت: بل أنا رجل أعمال ناجح.

يخرج شيرلي وسنوبي برايس تتبعهما جيني من المقر.

أندرشافت [شيرلي] لابد أن رب عملك استفاد كثيراً منك لكونك عاملاً شريفاً.

ينظر شيرلي إليه دون أن يفهم ما يقول ثم يجلس إلى الطاولة، تخرج باربارا.

باربارا: كنا مجتمعين مع أعضاء كرييس لان، لقد تأثروا جداً بالكلام الذي قلته يا سيد برايس.

برايس: يسعدني التكلم عن ماضي السيئ إذا كان هذا يساعد الآخرين على تلمس طريق الهداية.

باربارا: وهذا ما كان يا برايس [تلفتت إلى جيني المشغولة بعد نقود في وعاء معدني] كم يا جيني؟

جيني: أربعة وعشر بنسات يا ميجور.

باربارا: أوه يا برايس لو بالغت أكثر في وصف مقدار شقائك لكنا قد حصلنا على خمسة جنيهات كاملة.

أندرشافت: هل أتبرع لكم بباقي المبلغ؟ [يدخل يده إلى جيبه]

باربارا: وكيف حصلت على مالك؟

أندرشافت: كالعادة من بيع الأسلحة والطوربيدات والغواصات والألغام.

باربارا: أعد مالك إلى جيبك، لا تستطيع شراء خلاصك بهذا المبلغ الهزيل
يجب أن تعمل بجد.

أندرشافت: مبلغ الشلن ليس كافياً؟ أستطيع دفع أكثر.

باربارا: مليوناً مليون ليس كافياً، يداك مضرّجة بالدماء، لا فائدة من المال
أعد مالك إلى جيبك [إلى كاسوس] دولي اكتب رسالة أخرى إلى الصحف
[ينتمز] نعم أعلم أنك لا تحب هذا ولكن يجب علينا فعله، أثار الجوع كثيراً
بالناس هذا الشتاء، الجميع عاطل عن العمل، يقول الجنرال: إنه يجب إغلاق هذا
المقر مادمنّا لا نملك المال الكافي لإطعام الفقراء، لقد ضغطت على الناس من
أجل التبرع كثيراً أثناء الاجتماع لدرجة أشعرتني بالخجل.

برائيس: كنت رائعة يا آنسة.

باربارا: بت أفكر بالتبرعات أكثر من إنقاذ الناس، وما فائدة هذا المبلغ
الهزيل الذي جمعناه؟ نحتاج إلى الآلاف، بل إلى عشرات الآلاف من الجنيهات
[تنهمر الدموع من عينيها فجأة] كيف نطعم هؤلاء الجائعين؟ لا أستطيع التكلم
بالدين مع الجباة.. هذا مريع..!

جيني [تسرع نحوها] ميجور...

باربارا [مكفكة دموعها] لا تواسيني.. أنا بخير، سنحصل على المال اللازم.

أندرشافت: كيف؟

جيني: بالصلاة من أجل ذلك طبعاً، تقول السيدة بينز إنها صلت من أجله ليلة أمس وهاقد حصلنا على بعضه اليوم..لم يضع جهدها هباءً.

باربارا [وقد تماكنت نفسها] بالمناسبة يا والدي ستسير معنا السيدة بينز اليوم نحو مكان الاجتماع الذي سنعقده وهي توّاقة لرؤيتك لسبب لا أعرفه، ربما تريد هدايتك.

أندرشافت: يسرني هذا يا عزيزتي.

جيني [تنظر جهة البوابة] ميجور...ميجور..هاقد عاد ذلك الرجل مجدداً.

باربارا: أي رجل؟

جيني: الرجل الذي ضربني..أوه..آمل أنه عاد للانضمام إلينا.

[يدخل بيل ولكر من البوابة، يقف أمام باربارا]

باربارا: آه..هاقد عاد بيل.

بيل: هل لازلتم تتكلمون بأمرى منذ أن خرجت؟

باربارا: تقريباً..هل دفع تودجر شيئاً لك؟

بيل: لا.

باربارا: تبدو بردان.

بيل: الثلج ينهمر في الخارج، لقد ذهبت إلى تودجر ولكنه لم يقبل أن نتعارك
قال: إنه عرف طريق الهداية أخيراً.

باربارا: هذا جيد.

بيل: وتوسل إليّ كي أقبل بزواجه من موغ، جئا على ركبتيه وتوسل، وكذلك
فعلت موغ، كما أنها صلت من أجلي.

باربارا: ليتني كنت هناك معكم.

بيل: كما أنني آسف لما فعلت بك يا آنسة جيني [يدخل يده إلى جيبيه] هذان
شلنان كنت أدخرهما للشتاء خذيهما تكفيراً لي عما فعلت بك.

جيني: لقد سامحتك يا سيد ولكر ولن آخذ منك مالاً، ليتك تعطي شلناً أو أكثر
لرومي ميتشنس فقد آذيتها فعلاً كما أنها عجوز.

بيل: لن أعطيها شيئاً لأنها لن تسامحني مهما أعطيتها، إما أن تأخذي الشلنين
أو أعيدهما إليّ جيني..ماذا قلت؟

جيني: سأخذهما، وسأدفع جزءاً منهما كتبرع مني إلى جيش الخلاص..ما
رأيك يا ميجور؟

باربارا: لا... لا نريد مالا منه، نريد خلاص روحك يا بيل، هذا ما نريده منك.

بيل: أعلم أن نقودي القليلة غير ذات فائدة لكم، أنت حفيدة إيرل.. لن يرضيك مبلغ أقل من مائة جنيه.

أندرشافت: هيا يا باربارا.. خذي من هذا المسكين جنيهاً وسأدفع لك ٩٩ جنيهاً أخرى، سيفيدك المبلغ كثيراً.

باربارا: أوه.. أنت مسرف جداً يا أبي، عرض بيل عشرين بنساً، كان بوسعك دفع عشرة بنسات أخرى، هذا يكفي لجعله سعيداً، بل لشرائه.. أما أنا فلست للبيع وكذلك جيش الخلاص [إلى بيل] وأنت يا بيل لن تهناً بالسعادة أو راحة البال ما لم تأت وتتضم إلينا.

بيل: وأنا لا أحب الموسيقى وقرع الطبول والنساء الثرثرات، ليس لدي إلا هذا المبلغ خذيه وإلا فلا. [يضع المال على الطبل ويجلس]

تخرج السيدة بينز من داخل المقر مرتدية زي جيش الخلاص، إنها سيدة لطيفة وجدية في الأربعينيات من العمر.

باربارا: هذا والدي..السيدة بينز [يتقدم أندرشافت نحوها حاملاً قبعته بيده]
حاولي معه..لم يصنع إليّ لأنه يتذكرني عندما كنت طفلة صغيرة غبية [تدعهما
معاً وتقف تتكلم مع جيني]

السيدة بينز: هل أروك المقر يا سيد أندرشافت؟ أنت تعرف طبعاً العمل الذي
نقوم به.

أندرشافت: كل العالم يعرف ذلك يا سيدة بينز.

السيدة بينز: لا...لا يعرف العالم كله ماذا نفعل هنا، وإلا لما كنا في حاجة
ماسة للمال كما نحن عليه الآن..سنقوم بمظاهرات في لندن من أجل هذا.
أندرشافت: صحيح.

السيدة بينز: نعم..أتذكر عام ١٨٨٦م عندما لم يصنع الأغنياء إلى صراخ
الفقراء، لقد ثاروا وحطموا نوافذ ناديك في بول مول.
أندرشافت: نعم..أذكر هذا.

السيدة بينز: لو حصل الفقراء على ما يريدون لما كسروا النوافذ، تعال
لأعرفك على هذا الرجل..براييس..[يهرول براييس] هل تتذكر حادثة كسر
النوافذ؟

براييس: يقول والدي: إنها كانت ثورة يا سيدتي.

السيدة بينز: هل تكسر نوافذ الآن؟

برايس: لا يا سيدتي، لأنني أعرف الآن أن الثري مخطئ مثلي.

رومي [تظهر عند الباب] برايس...

برايس: ما الأمر؟

رومي: والدتك تسأل عنك عند مقر كريبل لان، لقد علمت بأمر اعترافاتك

[يشحب وجه برايس]

السيدة بينز: اذهب يا سيد برايس وصلي معها.

برايس [إلى السيدة بينز] لا أستطيع مواجهتها الآن يا سيدتي بسبب ذنوبي

الكثيرة [ثم ينسل خارجاً من المقر عبر البوابة سارقاً الشئ الموضوع على

الطبلّة دون أن يراه أحد]

السيدة بينز: رأيت كيف نخلصهم من الغضب والحقّد عليكم يا سيد

أندرشافت.

أندرشافت: هذا شيء رائع بالنسبة لكل أرباب العمل يا سيدة أندرشافت.

السيدة بينز: باربارا..جيني، أحمل أنباء سارة [تسرّع جيني نحوها] لقد

استجاب الرب لصلواتي..قلت لكم: إنه لا بد أن يحصل هذا..أليس كذلك يا جيني؟

جيني: نعم...نعم.

باربارا [تقترب من الطبل] هل حصلنا على مساعدات مالية؟

السيدة بينز: أمل أن نحصل على أموال كافية لإبقاء كل مقرّاتنا مفتوحة
وعد اللورد ساكسموندهام أن يعطينا مبلغ خمسة آلاف جنيه.

باربارا: يا سلام.

جيني: رائع.

السيدة بينز: إذا...

باربارا: إذا ماذا؟

السيدة بينز: إذا وجدنا خمسة متبرعين يتبرع كل منهم بمبلغ ألف جنيه.

باربارا: من هو اللورد ساكسموندهام؟ أنا لم أسمع به من قبل.

أندرشافت [بعد أن سمع الاسم وراح يراقب ردة فعل باربارا] ألم تسمعي

بالسير هوراك بودجر؟

باربارا: بودجر.. هل تعني الذي يملك مصنعاً لإنتاج الويسكي؟ ويسكي

بودجر؟

أندرشافت: هو بعينه... إنه أحد كبار المحسنين، لقد جدد بناء كاتدرائية

هاكنيغتن ومنحوه لقب بارون من أجل ذلك، كما أنه تبرع بنصف مليون جنيه

لصالح الحزب الذي ينتمي إليه، ومنحوه لقب بارون آخر.

شيرلي: ترى ماذا سيعطونه لو تبرع بخمس آلاف جنيه؟

أندرشافت: لم يتبق ما يعطونه إياه...لذلك الخمسة آلاف هذه من أجل خلاص

روحه.

السيدة بينز: فل تمنحه السماء هذا..آه يا سيد أندرشافت، أصدقاؤك أغنياء

جداً..هل تستطيع مساعدتنا بشأن الخمسة آلاف الأخرى؟سنقيم اجتماعاً حاشداً

هذا المساء في قاعة الاجتماعات في شارع ميل إند، لو استطعت إعلان أن

رجلاً قد تقدم لدعم اللورد ساكسموند هام فسندفع آخرون ويحذون حذوه، هل

تعرف أحداً [تنهمر الدموع من عينيها] فكر بالفقراء يا سيد أندرشافت..فكر ماذا

سيعني هذا لهم..هل ستكون هذا الرجل؟ لن يعني ذلك المبلغ كثيراً بالنسبة لك.

أندرشافت: لن أخيب أملك يا سيدة بينز، كما أنه يسرني أن أرى بودجر

يتبرع بالمال، سأدفع لكم خمسة آلاف.

السيدة بينز: أوه..شكراً للرب.

أندرشافت: ألن تشكريني؟

السيدة بينز: لا تسخر مما فعلت يا سيدي ولا تخجل منه، أنت رجل طيب

وسيعوضك الرب أضعافاً مضاعفة، وصلواتنا ستكون حصناً منيعاً حولك طوال

حياتك، هل ستعطيني الشيك لأريه للحضور أثناء الاجتماع؟ جيني اذهبي وأحضري قلماً وحبراً [تسرع جيني إلى داخل المقر]

أندرشافت: لا داعي..معي قلم [تعود جيني ويجلس أندرشافت إلى الطاولة ويكتب الشيك، يراقبه الجميع بصمت]

بيل [ساخراً إلى باربارا] ما هذا الخلاص الذي تسعون إليه؟

باربارا: توقف [يتوقف أندرشافت عن الكتابة، يستدير الجميع نحوها بدهشة]
سيدة بينز هل ستقبلين ماله فعلاً؟

السيدة بينز [مندهشة] ولم لا يا عزيزتي..!؟

باربارا: لم لا..! ألا تعرفين ماذا يعمل أبي؟ هل نسيت أن اللورد ساكسموندهام هو نفسه مالك مصنع ويسكي بودجر؟ ألا تذكرين كم توسلنا إلى الحكومة لكي يمنعوه من إطلاق ألعاب نارية تشكل اسم "ويسكي بودجر" في السماء لكي لا يتذكر الفقراء الذين نحاول جاهدين تخليصهم من إيمانهم على الكحول عطشهم المميت للكحول؟ ألا تعلمين أن أسوأ ما أواجهه هنا مع هؤلاء الناس هو إيمانهم على ويسكي بودجر؟ هل ستجعلين من مقرنا امتداداً لنفوذهم وتطلبين مني في النهاية أن أسكت؟

السيدة بينز: عزيزتي باربارا..اللورد ساكسموندهام يسعى لخلاص روحه
مثلنا جميعاً، إذا كانت السماء قد وجدت هذه الطريقة للاستفادة من ماله هل نقف
نحن عقبة في وجه دعائنا للحصول على المال الذي نريده...؟

باربارا: أعلم أنه يسعى لخلاص روحه مثلنا، دعيه يأتي إلى هنا وسأبذل ما
في وسعي لمساعدته من أجل الخلاص، ولكن ما يريده في الواقع هو شراؤنا
بماله.

أندرشافت [محاولاً إيجاد مبررات] عزيزتي باربارا..الكحول مادة ضرورية
جداً..إنها..

باربارا: ليست ضرورية على الإطلاق.

أندرشافت: إنها مادة مساعدة للأطباء وتساعد الفقراء على تحمل ضغوطات
الحياة وشقائها، أولئك التعماء الذين لا يمكنهم تحمل ضغوطات الحياة إذا كانوا
غير ثملين، إنها تساعد أعضاء البرلمان على القيام بأشياء في الحادية عشرة ليلاً
لا يستطيع أي شخص عاقل أن يقوم بها في الحادية عشرة صباحاً..هل هي
غلطة بودجر إذا كان هذا الشراب لا يتقبله واحد في المائة من الفقراء [يستدير
نحو الطاولة يوقع الشيك]

السيدة بينز: باربارا..هل سيزداد شرب هؤلاء الفقراء للكحول أم ينقص لو
جاؤوا إلينا غداً ووجدوا أبوابنا مغلقة في وجوههم؟ أعطانا اللورد ساكسموندهام
لنوقف الفقراء عن شرب الكحول، هذا ما نريدنا أن نقوم به.

كاسوس [يسخرية] هذه تضحية بالنفس من جهته.

أندرشافت [ينزع الشيك من الدفتر ثم يدس الدفتر في جيبه ويقف ويتقدم من
السيدة بينز] وأنا أيضاً أشعر ببعض أعراض النزاهة يا سيدة بينز، فكري بعلمي
الذي أجنبي منه المال، فكري باليتامي والأرامل الثكالى الذين أكون سبباً في
تعاستهم، فكري بالرجال والصبية القتلى في ساحات المعارك، فكري ببهار
الدماء التي تصنعها منتجاتي المدمرة، أنا مسؤول عن كل هذا، أما أنت فدورك
الوعظ ليحل السلام العالم، كل روح تخلصينها هي بمثابة تصويت ضد الحروب
ومع ذلك أعطيك هذا المال لتسريع دماري [يعطيها الشيك]

كاسوس [يسخرية] سنفتتح العام المقبل بنكران الذات الذي يبيده أندرشافت
وبودجر...يا للفرحة.

السيدة بينز [تأخذ الشيك] كلما زاد عمري كلما ازددت تأكداً أن هناك طيبة لا
متناهية بين الناس تحول كل شيء إلى عمل لصالح خلاص البشرية، من كان
يظن أن خيراً ما سيخرج من رحم الحرب أو الكحول؟ وأن بعضاً من أرباحهما
ستكرس إلى خلاص الناس؟ [يلعب بها التأثير جداً أن جعلها تبكي]

جيني [تركض نحو السيدة بينز وترمي نفسها بين ذراعيها] أوه..هذا مبارك.. هذا رائع.

كاسوس: هيا ننهي لحظات التأثر هذه ونذهب إلى الاجتماع الكبير..اعذروني قليلاً [يندفع داخلاً المقر]

السيدة بينز: هل سبق ورأيت يا سيد أندرشافت آلاف الناس يجثون على ركبهم بلحظة واحدة ويصلون. تعال معنا إلى الاجتماع..ستخبرهم باربارا أنه تم إنقاذ جيش الخلاص وأنت من أنقذته.

كاسوس [يخرج من داخل المقر حاملاً علماً ومتردة ويقف بين السيدة بينز وأندرشافت] احملي هذا العلم يا سيدة بينز [يعطيها العلم] وسيعرف لنا السيد أندرشافت على آلة المتردة، فهو عازف موهوب [يبينه وبين أندرشافت وهو يدفع إليه بالآلة الموسيقية] هيا انفخ يا ماكيافيلي انفخ..

أندرشافت [يبتسم] سأبذل ما في وسعي.

كاسوس: لقد تحول الجميع هنا إلى أناس طيبين.

باربارا: أوه..كفاك استهزاء يا دولي.

السيدة بينز: تعالي يا باربارا..ساعديني في حمل العلم.

باربارا: لن آتي معكم.

جيني: لن تأتي؟!

السيدة بينز [والدموع في عينيها] باربارا هل تعتقدين أنني أخطأت بقبولي

ذلك المال؟

باربارا [تهرع إليها وتقبلها] لا... لا فليباركك الرب يا عزيزتي، لقد أنقذت

جيش الخلاص.. اذهبي أرجو أن يكون اجتماعاً رائعاً.

جيني: ألن تأتي معنا؟

باربارا: لا [تبدأ بنزع البروش من ياقة قميصها]

السيدة بينز: ماذا تفعلين يا باربارا؟

جيني: لماذا تتزعين شعار جيش الخلاص؟ هل ستتركيننا يا ميجور؟

باربارا [يهدوء] تعال يا أبي.

أندرشافت [يتقدم نحوها] نعم يا عزيزتي... [يرى أنها ستقوم بتثبيت البروش

في ياقة قميصه فيترجع إلى الخلف]

باربارا [تلحق به] لا تخف.. تثبت البروش في ياقة قميصه وتتحنى جانباً

ليراه الجميع] لا يعني الكثير بالنسبة لمبلغ ٥٠٠٠ جنيه أليس كذلك؟

السيدة بينز: باربارا إذا كنت لا تريدين أن لا تأتي وتصلي معنا فأرجو أن

تصلي من أجلنا.

باربارا: لا أستطيع أن أصلي الآن، وربما لن أصلي أبداً مجدداً.

السيدة بينز: باربارا...!

جيني: ميجور...!

باربارا [يانفعال شديد] لم أعد أتحمل ذلك هيا تحركوا..

كاسوس [مخاطباً الناس الذين تجمّعوا خارج المقر] هيا بنا [يأخذ عصوي

الطبل]

السيدة بينز: يجب أن أذهب الآن يا عزيزتي، أنت مجهدة وتحتاجين إلى

بعض الراحة، ستكونين على خير ما يرام غداً، لن نفقدك..جيني تحركي بالعلم

النار والدم..[تخرج عبر البوابة]

جيني: هيا بنا [تتحرك خارجة]

باربارا: أيها الرب لم تخليت عني..

تنهار جاثية على ركبيتها وتدفن وجهها بكفيها، يتوقف الجميع عن الكلام

يقترّب بيل ولكر منها..

بيل: هل تريدان فعلاً ترك جيش الخلاص؟

شيرلي: هل ضربتها؟

بيل: ضربتها...! ولم أضربها؟!

تتهض باربارا ببطء وتجلس على الطاولة، يلتفت بيل نحو الطبل فلا يرى ماله عليه.

بيل: آه... أين ذهب المال الذي كان هنا؟ من أخذه؟

رومي: أيها الأحمق لقد سرقه برايس وهو يخرج رأيته يفعل ذلك.

بيل: ماذا؟ برايس سرق مالي...! لماذا لم تصرخي وتنبهيني عندما رأته يفعل ذلك؟

رومي: لأنك لا تستحق ذلك.

يمسك بيل بكوب الحليب الفارغ على الطاولة ويرفعه ليرميه بها، تهرب صارخة وتدخل المقر.. يقذف بالكوب فينكسر خلفها على باب المقر.

بيل [ضاحكاً] ألم يخبرونا قبل قليل أنه تم إنقاذ روح برايس؟!

باربارا [تستدير نحوه وتقول بهدوء] كان ذلك حوالي الثانية عشر والنصف يا بيل، وقد سرق مالك حوالي الثانية إلا ربعاً.

بيل [إلى باربارا] أردتم خلاص روحي؟ لن تحصلوا عليها.

باربارا: كدنا أن نحصل عليها يا بيل، ولكننا بعناها لك بمبلغ عشرة آلاف جنيه.

شيرلي: ياله من مبلغ!

باربارا: لا يا بيتير، روحه أثنى من ذلك بكثير.

بيل: لا فائدة من محاولتكم، أنا لا أصدقكم، لقد أثبتت لنفسى اليوم أنني على حق، وداعاً أيها الميجور يا حفيذة الإيرل..خلصتم روح برايس النفاج..ها..ها..ها.

باربارا: وداعاً بيل.

[يخرج بيل..تقترب باربارا من شيرلي] لقد أصبحت مثلك تماماً يا بيتير بدون عمل.

شيرلي: لديك الأمل والشباب، وهذا ما يجعلك أفضل منى بكثير.

باربارا: سأبحث لك عن عمل يا بيتير..سأبذل كل ما فى وسعى [تعد مالها] لى مال يكفى لشرب فنجانى شاي فى لوكهارت ولعودتى بالحافلة إلى المنزل سننقاسم المبلغ [يقطب جبينه ويقف وقد جرحت كرامته...تمسك بذراعه] لا بأس..هذه مشاركة بين الأصدقاء يا بيتير، لقد أصبحنا صديقين الآن [تجره نحو البوابة]

شيرلي: ولكننى لست معتاداً على مصادقة من هم فى مرتبتك الاجتماعية.

باربارا: غيّر هذه العادة الآن وتكلم معي.

[يخرج الاثنان من البوابة معاً]

بعد الاجتماع

في اليوم التالي الليدي برايتمورت جالسة في المكتبة منشغلة بالكتابة، سارة جالسة تقرأ بجانب النافذة، باربارا في ملابسها العادية تبدو شاحبة الوجه جالسة على الأريكة، يدخل تشارلز لوماكس، يجفل لدى رؤيته باربارا في ملابسها العادية ويلحظ مقدار كآبتها.

لوماكس: أرى أنك قد خلعت ملابسك الرسمية..!

لا تعلق باربارا.. تعابير الحزن بادية على وجهها.

الليدي برايتمورت [محذرة إياه] تشارلز..!

لوماكس [متألم لحال باربارا.. يقترب منها] أنا آسف جداً يا باربارا، أنت تعلمين أنني بذلت جهدي لمساعدتك، عموماً إنني أرى أن ما يفعلونه هو مجرد هراء، يدعون الآن أن كنيسة إنكلترا..

الليدي برايتمورت: يكفي هذا يا تشارلز.. تكلم بما تفهم فقط.

لوماكس: ولكننا جميعاً نفهم كنسية إنكلترا.

باربارا: شكراً على تعاطفك معي يا كولي، اذهب وتكلم مع سارة الآن.

لوماكس [يسحب كرسيًا بجانب طاولة الكتابة ويجلس بجانب سارة] كيف
حالك اليوم؟

سارة: سنذهب إلى المصنع اليوم.

لوماكس: مصنع ماذا؟

سارة: مصنع الأسلحة.

لوماكس: أوه..!

يدخل كاسوس، يجفل هو الآخر لدى رؤيته باربارا بتيابها العادية.

باربارا: توقعت أن تأني اليوم يا دولي.

كاسوس [يجلس بجانبها] أنا آسف.. لقد تناولت إفطاري للتو.

سارة: ولكننا انتهينا للتو من تناول الغداء.

باربارا: هل راودك أحد أحلامك المزعجة؟

كاسوس: لا.. بل كانت ليلة هادئة.

الليدي برايتمورت: ماذا فعلت بعد الاجتماع؟

كاسوس: احتسيت الخمر.

الليدي برايتمورت: أدولفوس..!

سارة وباربارا ولوماكس [بصوت واحد] دولي.

الليدي برايتمورت: ماذا شربت؟

كاسوس: نوعاً شيطانياً من البراندي الأسباني.

باربارا: كنت أظنك أقلعت عن الشراب، أخبرني الآن ماذا حدث في

الاجتماع؟

كاسوس: كان اجتماعاً رائعاً، جاشت عواطف السيدة بينز، واهتدى ١١٧

شخصاً، وصلوا بإخلاص شديد وعرفان بالجميل لبودجر، وللمحسن الكريم

المجهول الذي تبرع بـ ٥٠٠٠ جنيه، ألا وهو والدك الذي رفض الإفصاح عن

اسمه.

لوماكس: هذا غريب بالنسبة له، فمعظم الناس يحبون هذه الدعاية.

كاسوس: قال مبرراً موقفه: إنه لو أعلن اسمه على الملأ فستتوافد عليه كافة

الجمعيات الخيرية كالذباب على قطعة الحلوى.

الليدي برايتمورت: هذا هو أندرو فعلاً، إنه لا يفعل شيئاً صائباً دون إعطاء

تبرير غير صائب.

كاسوس: لقد احتسيت الخمر معه وأفنعتني أنني كنت أفعل طوال حياتي أشياء

غير صائبة.

الليدي برايتمورت: أدولفوس، بما أن باربارا تركت جيش الخلاص فيتحتم عليك أنت الآخر أن تتركه، لن أدعك تعزف على الطبل في الشوارع بعد الآن.

كاسوس: لقد أطعت أوامرك حتى قبل أن تنطقي بها، تركت جيش الخلاص.

باربارا: دولي.. هل كنت جاداً بشأنه؟ هل كنت التحقت به لو لم تعرفني؟

كاسوس: حسناً.. في الواقع.. ربما.

لوماكس: لا أظن هذا.. كنت تراه هراءً بشكل أو بآخر.

الليدي برايتمورت: لا تتكلم بحماقة يا تشارلز كأنك تلميذ مدرسة.. [يدخل

الخادم موريسون] ما الأمر؟

موريسون: السيد أندرشافت بالباب.

الليدي برايتمورت: أدخله.. [يتردد موريسون] ما الأمر..؟ ما بك؟

موريسون: هل أعلن وصوله كأبي زائر غريب أم أنه بات من أهل البيت يا

سيدتي؟

الليدي برايتمورت: بل أعلن وصوله.

موريسون: شكراً سيدتي على هذا الإيضاح.

الليدي برايتمورت: اذهب ودعه يدخل.

موريسون: نعم سيدتي [ينسحب]

الليدي برايتمورت: اذهبوا لتستعدوا لاستقباله يا أولاد.. [تخرج سارة وباربارا] تشارلز.. اذهب وأطلب من ستيفن أن يأتي إلى هنا، ستجده في غرفة الاستقبال [يذهب تشارلز] أدولفوس.. أخبرهم أن يرسلوا العربّة بعد ربع ساعة من الآن [يذهب أدولفوس]

موريسون.. [عند الباب] السيد أندرشافت.

يدخل أندرشافت.. ينصرف موريسون.

أندرشافت: وحدك...؟ يا لحظي القوي.

الليدي برايتمورت [تنهض واقفة] لا تكن عاطفياً هكذا يا أندرو.. اجلس [تجلس على الأريكة ويجلس بجانبها] يجب أن تحصل سارة على ٨٠٠ جنيه سنوياً إلى أن يصل تشارلز لوماكس إلى السن القانونية التي تؤهله لحيازة التركة التي خلفها له والده قبل أن يتوفى، باربارا تحتاج إلى أكثر من ذلك وبشكل دائم لأن أدولفوس فقير الحال.

أندرشافت: نعم يا عزيزتي.. سأرى ما يمكنني فعله، هل من شيء آخر؟ لك مثلاً..

الليدي برايتمورت: أريد أن أتكلم معك بخصوص ستيفن.

أندرشافت: لا يا عزيزتي، ستيفن لا يهمني.

الليدي برايتمورت: وكيف هذا؟! إنه ابننا.

أندرشافت: هل تعتقدين هذا حقاً؟ لا أراه يشبهني في شيء ولا يشبهك أنت أيضاً في شيء.

الليدي برايتمورت: أندرو.. ستيفن ولد ممتاز وواثق من نفسه وذكي ومستقيم أنت تحاول إيجاد مبررات لعدم توريثه شيئاً.

أندرشافت: هذا ليس ذنبى.. إنه تراث آل أندرشافت، من العار عليّ أن أورث مصانع الأسلحة التي أمتلكها لابني الذي من لحمي ودمي.

الليدي برايتمورت: ومن غير الطبيعي ولا من اللائق أن تورثها إلى شخص آخر، هل تظن أن هذا التقليد الشرير واللا أخلاقي سيستمر إلى الأبد؟ هل تدعي أن ستيفن غير قادر على إدارة مصانعك من بعدك كسائر أولاد أصحاب المصانع الآخرين؟

أندرشافت: نعم.. سيتعلم طريقة سير العمل بدون أن يفهم روح العمل بشكل جيد، كسائر أبناء أصحاب المصانع الآخرين، وستستمر المؤسسة في إنتاجها إلى أن يأتي منافس لنا آخر في إيطاليا ربما أو في ألمانيا ويخترع شيئاً جديداً يجعلنا نفلس أو تضمحل تجارتنا.

الليدي برايتمورت: لا يوجد ما لا يستطيع ستيفن فعله كأى إيطالي أو ألماني
كما أن ستيفن على الأقل أصيل المحتد.

أندرشافت: ولكن أريد ابن زنا ليدير المصنع.

الليدي برايتمورت: إنه ابنتي يا أندرو، وربما أنت أيضاً كانت والدتك من
عائلة أصيلة قبل أن تحمل بك سفاحاً.

أندرشافت: ربما..ولكن هذا موضوع آخر.

الليدي برايتمورت: لا تعقد الأمور يا أندرو، ولا تكن شريراً كما أنت عليه
الآن.

أندرشافت: هذه المناقشة هي جزء من تقاليد أندرشافت، كل زوجات أسلافي
قد تكلمن مع أزواجهن بنفس الموضوع وبنفس الطريقة، إنها مضيعة للوقت، لو
أردت كسر هذا التقليد المتوارث فسأكسره لصالح رجل أكثر كفاءة وقدرة من
ستيفن.

الليدي برايتمورت [ياستياء] إذاً ارحل من هنا.

أندرشافت: أرحل من هنا..!

الليدي برايتمورت: نعم.. ارحل من هنا، إذا كنت لا تريد أن تفعل شيئاً
لستيفن فأنت غير مرغوب بك هنا، اذهب إلى ابن السفاح الذي ستورثه واعتن
به بدل ابنك.

أندرشافت: في الحقيقة يا "بيدي"...

الليدي برايتمورت: لا تتأديني "بيدي" فأنا لا أناديك "أندي"

أندرشافت: وكيف أناديك بـ برايتمورت..؟ إنه ليس اسماً رومانسياً، في
الحقيقة يا حبيبتي تقاليد العائلة وضعتني في موقف حرج، أنا أنقدم في السن
وشريكي لازاروس يصر على أن أحسم أمر من يرثني بطريقة أو بأخرى
وطبعاً معه حق في ذلك، والمشكلة أنني لم أجد وريثاً مناسباً إلى الآن.

الليدي برايتمورت [يعناد] يوجد ستيفن.

أندرشافت: المشكلة أن كل اللقطاء الذين وجدتهم يشبهون ستيفن.

الليدي برايتمورت: أندرو..!

أندرشافت: أريد شخصاً بدون أقارب وبدون تعليم، حاقداً على المجتمع، لم
أجد شخصاً بهذه المواصفات بعد، كل دور اليتامى في هذه الأيام تعتني بهم
وتقوم بتدريسهم، لم تعد الأمور كما كانت عليه في الماضي للأسف، الحل

الوحيد لاستمرار سلالة اللقطاء في العائلة هو إيجاد لقيط مناسب وتزويجه
بباربارا.

الليدي برايمورت: آه...باربارا..أيها المخادع..أراك تضحي بستيفن من أجل
باربارا.

أندرشافت [مسروراً] ولم لا؟

الليدي برايمورت: أندرو...المسألة ليست هي مسألة مَنْ تحب ومَنْ لا تحب
أو مَنْ تفضل على مَنْ مِنْ أبنائك...إنها مسألة واجب، من واجبك أن تجعل
ستيفن خلفاً لك.

أندرشافت: وأنت من واجبك إطاعة زوجك.

الليدي برايمورت: أنت لا تستطيع قلب الباطل حقاً.
يدخل ستيفن..

ستيفن [عند الباب] عفواً.. [على وشك الانسحاب]

الليدي برايمورت: لا..ادخل ستيفن.. [يدخل ستيفن ويجلس إلى طاولة
الكتابة]

أندرشافت [بدون عاطفة] عمت مساءً.

ستيفن [ببرود] عمت مساءً.

أندرشافت [إلى الليدي برايتمورت] هل يعرف بأمر تقاليد عائلتي.

الليدي برايتمورت: نعم [إلى ستيفن] إنه ما أخبرتك به ليلة أمس يا ستيفن.

أندرشافت [عابساً] علمت أنك تريد دخول مجال صناعة الأسلحة.

ستيفن: أدخل هذا المجال...؟! مستحيل..!

أندرشافت [فاتحاً عينيه على اتساعهما] أوه...

ستيفن: لا أنوي دخول مجال الأعمال بأي شكل من الأشكال، أنا لا أحب

التجارة، أريد أن أكرّس نفسي للسياسة.

أندرشافت [ناهضاً من مكانه] يا بني، هذا راحة عظيمة لي، أنا واثق أنك

ستفيد بلدك.

الليدي برايتمورت: ستيفن..لن أسمح لك أن ترمي إرثاً ضخماً كهذا وراء

ظهرك.

ستيفن: أمي..يجب أن تتوقفي عن معاملتي كطفل صغير، أنا لم آخذ كلامك

أمس على محمل الجد لأنني ظننت أنك لست جادة فيه، ولكنني أجد الآن أنك لم

تشرحي لي أموراً كان يجب أن تشرحها لي قبل سنوات كثيرة ماضية، أنا

منزعج جداً لذلك..كان من الأفضل أن أناقش مستقبلي مع والدي وجهاً لوجه

بدل حياكة المخططات في الخفاء.

الليدي برايتمورت: ستيفن [تجهش بالبكاء].

أندرشافت [يتعاطف] يجب أن لا تعاملي الرجال على أنهم أطفال يا عزيزتي.

ستيفن: آسف جداً يا أمي، لقد أجبرتني...

أندرشافت [مسكتاً إياه] نعم...نعم..لا عليك يا ستيفن، لن نتدخل في شؤونك

مجدداً، ولا تعتذر [يعود إلى مكانه] والآن ماذا عن مستقبلك؟ أخبرني عن مخططاتك رجل لرجل، عفواً بيدي، رجل لرجل وامرأة..

الليدي برايتمورت [التي تماكنت نفسها تماماً] فهمت وجهة نظرك تماماً يا

ستيفن، افعل ما بدا لك.

[يجلس ستيفن بوقار إلى طاولة الكتابة]

أندرشافت: إذاً أنت لن تطلب مجدداً أن تخلفني في صناعة الأسلحة؟

ستيفن: نعم..أنا أتبرأ من هذه الصناعة.

أندرشافت: لا تكن متجهم الوجه يا فتى فهذا تصرف صبياني، سأمنحك

فرصة لبداية جديدة في هذه الحياة بما أنك تخليت عن حقك في أن ترثني، لن

تستطيع أن تصبح رئيس وزراء دفعة واحدة، ألدريك إسهامات في مجال ما

كالأدب أو الفن مثلاً؟

ستيفن: ليس لدي روح الفنان في شيء، لا في الموهبة ولا في الشخصية..
حمداً لله.

أندرشافت: ولا روح الفيلسوف؟

ستيفن: لا أحب تلك التفسيرات المضحكة التي يقدمونها.

أندرشافت: جيد.. ما رأيك بالجيش، البحرية، الكنيسة، البرلمان، البرلمان
يحتاج إلى مهارات معينة.. ما رأيك بالبرلمان؟

ستيفن: أنا لم أدرس الحقوق، وليس لديّ من يساعدني على دخوله، ولا أحب
التملق واستجداء الآخرين لأكون عضواً فيه.

أندرشافت: وضعك عويص يا ستيفن، لم يتبق أماننا إلا المسرح [يتململ
ستيفن] لا تريد المسرح؟ هل تحب شيئاً أو تعرف شيئاً؟

ستيفن [ناهضاً من مكانه وناظراً إليه بثبات] أنا أعرف الفرق بين الخطأ
والصواب.

أندرشافت [يقهقه] لا تقل هذا..! ليست لديك المقدرة على إدارة الأعمال
ولست بدارس للقانون، ولا تحب الفنون كلها، وتكره الفلسفة، لديك معرفة بسيطة
فقط بالسر الذي حير الفلاسفة على مرّ العصور، وأربك المحامين، وعكّر مزاج

كل رجال الأعمال، ودمّر معظم الفنانين، ألا وهو سر الخطأ والصواب، أنت عبقرى يا رجل، عبقرى حقيقى، ولازلت فى الرابعة والعشرين.

ستيفن [محافظ على هدوء أعصابه بصعوبة] أنت تُسر عندما تدّعى الفكاكة أنا لا أدعى أنني املك أكثر مما يملكه أي رجل إنكليزي شريف عند ولادته [ثم يجلس غاضباً]

أندرسافت: أوه..هذا يملكه الجميع، أنتم كلكم متشابهون أيها الناس المحترمون، لا تحسنون التعامل مع المتفجرات، ولكنكم جميعاً مستعدون للتعامل مع الشرف والصدق والعدالة وواجبات الإنسان ثم تقتلون بعضكم ببساطة..يالها من بلد..وياله من عالم..!

الليدي برايتمورت: ما رأيك أن يعمل يا أندرو؟

أندرسافت: ما يريد هو أن يفعله، إنه لا يعرف شيئاً ويظن أنه يعرف كل شيء، اجعليه سكرتيراً لأحد السياسيين ثم دعيه وشأنه فربما استطاع دخول المعتزك السياسي بعد فترة.

ستيفن [ينهض واقفاً] أنت تجبرني أن أقول لك: إنني لا أسمح لك أن تهين حكومتي ممثلة بالبرلمان.

أندرشافت: حكومتك...؟! أنا الحكومة، أنا ولازاروس، هل تعتقد أنك أنت
ونصف دزينة من الهواة أمثالك من الجالسين في البرلمان بوسعهم التحكم بي أو
بلازاروس...؟! لا.. أنت مخطئ يا صديقي، ستفعل ما نمليه عليك فقط.. ستشن
حرباً عندما يناسبنا ذلك، وتضع السلام عندما يناسبنا ذلك أيضاً، ستعرف أن
وجودك هناك يحتاج إلى مهارات خاصة نحن نحددها، عندما أريد شيئاً يرفع
أرباحي ستكتشف أن رغباتي هي مصلحة وطنية، وعندما يريد غيري إنقاص
أرباحي ستطلب الشرطة والجيش، وفي مقابل ذلك ستلقى مني الدعم والتصفيق
والتطويل في صحفي، وفرحة تصوورك أنك رجل سياسة عظيم.

ستيفن [يبسم ويضع يده على كتف والده] في الحقيقة يا والدي يصعب عليّ
أن أغضب منك، لقد تبين لي سخافة موقفي، أنت فخور بنفسك بلاشك بنجاحك
في جني المال، ولكنك تعتقد أن المال هو الذي يحكم إنكلترا، واسمح لي أن
أعتقد غير هذا، أنا أعرف أفضل منك.

أندرشافت: وما الذي يحكم إنكلترا إذا؟

ستيفن: الشخصية يا والدي.. الشخصية.

أندرشافت: شخصية من؟ شخصيتي أم شخصيتك؟

ستيفن: لا شخصيتي ولا شخصيتك يا أبت، لكنها أفضل العناصر في
الشخصية الوطنية الإنكليزية.

أندرشافت: ستيفن.. وجدت لك المهنة التي تناسبك.. أنت صحفي بالفطرة
سأبحث لك في هذا المجال عن وظيفة مناسبة لك.

وقبل أن يجيب ستيفن دخلت سارة وباربارا ولوماكس وكاسوس، عبرت
باربارا الغرفة نحو النافذة ووقفت عندها تنتظر من خلالها، بينما تقدمت سارة
نحو أمها، ذهب ستيفن إلى الطاولة وراح يتفحص الرسائل الواردة إليه.
سارة: اذهبي واستعدي يا أمي، العربية في الخارج بانتظارنا [تغادر الليدي
برايتمورت الغرفة]

أندرشافت [إلى سارة] طاب يومك يا عزيزتي... عمت مساءً يا سيد
لوماكس.

لوماكس: عمت مساءً.

أندرشافت [إلى لوماكس] هل أصبحت على ما يرام بعد ليلة أمس؟

كاسوس: نعم.

أندرشافت: هذا جيد [إلى باربارا] هل ستأتين لزيارة مصانع الموت والدمار
التي تخصني يا باربارا؟

باربارا [عند النافذة] جئت أمس لرؤية مصنع الخلاص خاصتي وقد وعدتك
أن أردد لك الزيارة.

لوماكس: ستجدينها مثيرة للاهتمام حقاً، زرت مصنع دولويش للأسلحة، إنه يمنح المرء إحساساً غريباً بالاطمئنان، وخصوصاً عندما أفكر بعدد الفقراء والمتسولين الذي يمكن أن يُقتلوا إذا ما نشب قتال [إلى أندرشافت] لا بد أن مصانعك تشعرك بإحساس عميق بالخزي أليس كذلك؟

سارة: أرجو أن لا تنزعج من وقاحة كولي يا والدي.

أندرشافت: السيد لوماكس ينظر إلى الأمر من زاوية صحيحة يا عزيزتي.

لوماكس: وهذا ما قصدته فعلاً..أؤكد لك ذلك.

سارة: هل ستأتي معي يا ستيفن؟

ستيفن: أوه..حسناً..أنا مشغول بعض الشيء، أوه..سأتي إذا...إذا كان لي

متسع.

أندرشافت: أستطيع اصطحاب اثنين معي على الدراجة النارية الحديثة التي

أجربها، اعذروني لأنها ليست مدهونة بعد، ولكنها دراجة نارية قوية تصلح

لساحات القتال وهي مضادة للرصاص.

سارة: أوه..أفضل الذهاب بالسيارة.

كاسوس: لماذا نحن ذاهبون إلى مصنع الجحيم؟

باربارا: لطالما تصورته في ذهني على أنه مكان مظلّم به عمال قد تلوّثت وجوههم البيضاء بالدخان الأسود، ويجبرون على العمل الشاق بلا رحمة، أليس هو كذلك يا أبي؟

أندرشافت: على العكس تماماً يا عزيزتي، إنه مصنع ضخم حديث شديد النظافة، مقام على هضبة جميلة في بلدة رائعة.

كاسوس: هل بها كنيسة لأتباع المذهب المنهجي؟

أندرشافت: نعم.. يوجد اثنان منها، واحدة قديمة وأخرى حديثة، كما أن هناك جماعة لا دينية في البلدة إلا أنها لا تلقى الدعم الكافي لكون معظم عمالي شديدي الإيمان بالله.

كاسوس: ومع ذلك لا يعارضونك في شيء؟

باربارا: هل يطيعون أو أمرك؟

أندرشافت: أنا لا أمرهم، أتكلّم معهم بكل تودد ولطف، وأسألهم دوماً عن صحتهم وصحة أطفالهم وزوجاتهم.

كاسوس: ولكن كيف تضمن حسن سير العمل؟

أندرشافت: عن طريق رقابة مشرفيهم الصارمة عليهم، كما أنه يوجد من يراقب أداء المشرفين أنفسهم، أما أنا فبقي لي دور الإشراف العام.

كاسوس: أنت فعلاً...أوه..كما قلت لك أمس.

باربارا: ماذا قال لك أمس؟

أندرشافت: لا تأبهي بكلامه يا عزيزتي، يظن أنني سبب شقائك أصحيح هذا..؟

باربارا: وهل تعتقد أنني سعيدة بهذه الثياب؟ هل تعرف ماذا فعلت بي؟
بالأمس كدت أهدي شخصاً إلى الطريق المستقيم في هذه الحياة نحو الخلاص
وعندما قبلنا تبرعك عاد إلى شرب الخمر، لن أغفر لك هذا..

أندرشافت: أرى أن اليأس تسرب بسهولة إلى قلبك.

باربارا: معك حق..يجب أن لا يتسلل اليأس إلى قلبي بهذه السهولة.

أندرشافت: ها قد تعلمت شيئاً جديداً الآن.

باربارا: حسناً...خذني إلى مصنع الموت عليّ أتعلم أشياء أخرى..تعال يا
دولي.

كاسوس: أنا قادم يا ملاكي الحارس.

تقع مصانع أندور على سفح تلة ضمن بلدة أنيقة ذات منازل بيضاء الجدران
يكسو سقوفها الآجر الأحمر..

تقف باربارا بجانب متراس وعلى يمينها مدفع، المتراس يصل في نهايته إلى
المصنع، يصل كاسوس عبر الممر المنتهي بالبلدة.

باربارا: حسناً ماذا لديك؟

كاسوس: كل شيء ممتاز ورائع هنا، البلدة نموذجية حقاً.

باربارا: هل علمت فيما إذا فعلوا شيئاً لبيتر شيرلي.

كاسوس: لقد عينوه كبواب ومراقب دوام، ولكنه تعس للغاية، يدعي أن
مراقبة الدوام هو عمل يحتاج إلى جهد عقلي وهو لا يحب مثل هذا النوع من
الأعمال... كما أن مسكنه الملاصق للبوابة رائع وأنيق إلى درجة يشعر بالخجل
من استعمال مرافقه.

باربارا: مسكين بيتر.

يصل ستيفن من البلدة ويديه نظارات مُعظّمة.

ستيفن [إحساس] هل تجولتما في المكان؟ لماذا تركتمانا؟

كاسوس: أردت رؤية كل شيء، وأردت باربارا أن تتكلم مع العمال.

ستيفن: وهل وجدت شيئاً مخزياً؟

كاسوس: لا..الجميع يطلق عليه لقب داندي آندي، وفخورين به، وكل شيء
على ما يرام بطريقة مخيفة.

تصل سارة.

سارة: يا إلهي..ما هذا المكان، هل رأيتم الحضانة؟!

ستيفن: هل رأيت المكتبات والمدارس؟!

سارة: وقاعة الرقص، وقاعة الاحتفالات في البلدة؟!

ستيفن: هل زرتم شركة التأمين الملحقة بالمصنع؟! وقسم المتقاعدين؟!

يخرج أندرشافت من مبنى مجاور به عدة مكاتب وينزل الدرج نحوهم ويبيده
عدة رسائل.

أندرشافت: هل تجولتم في المكان، آسف لانشغالي عنكم بهذه اللحظات، لقد
وصلتني أخبار جيدة من منشوريا.

ستيفن: هل حقق اليابانيون نصراً آخر؟

أندرشافت: لا أدري، لا يهمننا من ينتصر، الأخبار الجيدة أن الطائفة الحربية
المقاتلة الجديدة التي صنعناها قد نجحت نجاحاً باهراً في ساحات القتال هناك
لقد سوت الأرض بحصن منيع كان يتحصن به ثلاثمائة جندي.

كاسوس: تقصد دمی على شكل جنود؟

أندرشافت: لا.. بل جنود حقیقون.

یتبادل كاسوس وباربارا النظرات فیما بینهما.

أندرشافت: ما رأيك بالمكان یا ستیفن؟

ستیفن: أوه.. رائع بكل معنى الكلمة.. انتصار كامل للصناعة الحديثة بصراحة

یا والدي لقد كنت مغفلاً، لم أكن أدرك ما يعني كل هذا، قوة التنظيم، وبراعة

الإدارة، وجرأة التنفيذ، والذكاء المالي، ورؤوس الأموال الضخمة التي تمثل كل

هذا... هذا شيء رائع بكل معنى الكلمة، لكن لدي انتقاد واحد.

أندرشافت: وما هو یا بني؟

ستیفن: أنت تقطر في دلال عمالك وموظفيك بكل هذه المؤن والأطعمة التي

تقدمها لهم، هذا ما لاحظته أثناء استمتاعنا بشرب الشاي في ذلك المطعم الرائع

لقد أتخموننا بمختلف أنواع الكعك الفاخر والمربيات اللذيذة، وكل هذا بثلاثة

بنسات.. أنا لا أتخيل هذا..

أندرشافت: يجب إسعاد الموظفين والعمال وتأمين كل وسائل الراحة

والطمأنينة لهم من أجل ضمان استمرارية الإنتاج بأفضل مقاييسه، ولا تنس أننا

نعيش بقلق مستمر هنا، إذ تكفي غلطة بسيطة من أحدهم لتحويلنا إلى قطع صغيرة، فالمكان متخم بكل أنواع المتفجرات.

سارة: بالمناسبة يا أبي، أين تصنعون المتفجرات؟

أندرشافت: في مستوعبات صغيرة منفصلة مثل تلك التي هناك، عندما ينفجر أحدها تكلفنا فقط أرواح من يعمل داخلها ومن هم بجوارها.

ستيفن الذي كان يقف قريباً من أحدها يبتعد بضعة خطوات عنها، وفي نفس اللحظة يفتح بابها ويخرج منه لوماكس

لوماكس [ينظر إلى وجوههم والخوف مرتسم على ملامحهم] لا داعي للخوف يا جماعة المكان آمن بما فيه الكفاية.

أندرشافت [إلى العامل الذي خرج خلف لوماكس] كيف هي الأمور بالداخل يا بيلتون؟

بيلتون: بخير، سوى أن هذا السيد قد تمشى بالداخل وأشعل سيجارة.

أندرشافت: آه.. [إلى لوماكس] وماذا فعلت بعود الكبريت؟

لوماكس: أنا لست غيبياً، لقد أطفالته طبعاً وتأكدت تماماً أنه مطفأ قبل أن أتابع سيرتي.

أندرشافت: هل لي أن أرى علبة الكبريت التي تحملها؟

لوماكس [يخرج العلبة من جيبه] طبعاً...تفضل.

أندرشافت: شكراً [يدس العلبة في جيبه]

لوماكس [مفسراً] هذه المتفجرات لا تتفجر من تلقاء نفسها كالبارود، إنها تحترق بهدوء وبشكل غير مؤذٍ إذا ما تعرضت للحرارة الشديدة، إنها خطيرة فقط عندما تعبأ في أماكنها داخل القنابل.

تصل الليدي برايتمورت من البلدة ويدها باقة أزهار.

الليدي برايتمورت: أندرو، كان يجدر بك أن لا تدعني أرى هذا المكان.

أندرشافت: لماذا يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: لا عليك...لا تسأل لماذا..مجرد فكرة أن كل هذا المكان هو لك [تشير إلى البلدة] وتحفظ بها لنفسك طوال هذه السنين تشعرني بالغضب.

أندرشافت: إنها ليست لي، إنها إرث أندرشافت وأنا جزء منها.

الليدي برايتمورت: ربما كانت مصانع الأسلحة هي ملكاً لك، ولكن كل تلك المنازل الجميلة بحدائقها الرائعة وأثاثها الفخم يحتاج إلى امرأة لتشرف عليه.

أندرشافت [يقترّب منها ويشم عبق الأزهار التي تحملها] من أين لك هذه الأزهار يا عزيزتي؟

الليدي برايتمورت: قدمها لي عمالك أثناء زيارتي كنيسة ويليام موريس في
البلدة.

كاسوس: أوه..كنيسة للعمال!..

الليدي برايتمورت: لقد أعجبتني مقولة ويليام موريس المكتوبة على الجدار
بخط كبير " لا أحد جدير بما فيه الكفاية ليكون سيد غيره"

أندرشافت: لقد أربكت هذه العبارة العمال عندما قرؤوها لأول مرة، ولكنهم
اعتادوا عليها الآن.

الليدي برايتمورت: أندرو، لن أسألك مجدداً عن حق ستيفن بالميراث، فعناده
يجعله غير جدير بالإرث، لكن باربارا لها الحق به مثل ستيفن، لماذا لا تورث
زوج باربارا القادم ألا وهو أدولفوس؟ سأدير شؤون البلدة وأدع له إدارة مصانع
الأسلحة.

أندرشافت: إنها فكرة مناسبة جداً في حال كان أدولفوس ابن سفاح، إنه
النوعية من الرجال المناسبة جداً لمجال الأعمال ولكنه للأسف ليس ابن سفاح
[يستدير ويتجه نحو مكتبه]

كاسوس: ليس تماماً [ينظر الجميع إليه بدهشة]

أندرشافت [مقترباً منه] ماذا تقصد؟

كاسوس: أود أن أعترف بشيء.

سارة

الليدي برايتمورت

باربارا

ستيفن [بصوت واحد] اعتراف...

لوماكس: أوه..

كاسوس: نعم.. اعتراف.. اسمعوا.. كنت أعتبر نفسي رجلاً صادقاً ومحترماً
إلى أن التقيت بباربارا، بعدها بدأت أريدها أكثر من أي شيء آخر، أكثر من
الصدق واحترام النفس.

الليدي برايتمورت: أدولفوس...!

كاسوس: هذه هي الحقيقة، اتهمتي أنت بنفسك يا ليدي برايتمورت أنني
التحقت بجيش الخلاص من أجل خاطر عيون باربارا لا إيماناً بقيم الجيش
وأفكاره وهذا صحيح.

لوماكس: أوه..!

كاسوس: وعندما علمت بالحقيقة المرعبة..

الليدي برايتمورت: ماذا تقصد بالحقيقة المرعبة يا أدولفوس؟

كاسوس: أنها غنية جداً وأن جدها لأمها كان إيرل وأن والدها هو أمير
الظلام..

أندرشافت: أوه..!

كاسوس: وأناي مجرد مغامر يحاول الحصول على زوجة غنية رحت أحاول
خداعها بشأن مولدي.

باربارا: دولي.

الليدي برايتمورت: مولدك..! لا تحاول اختلاق قصة شريرة طمعاً بتلك
الثروة يا أدولفوس، وتذكر أنني رأيت صور والديك، كما أن جنرال جنوب
غرب أستراليا يعرفهما جيداً بشكل شخصي، وأكّد لي أنهما شخصان محترمان
جداً ومتزوجان.

كاسوس: إنهما كذلك في أستراليا، وزواجهما معترف به هناك ولكن ليس هنا
في إنكلترا، إنهما يعتبران منبذين هنا لأن أمي هي أخت زوجة والدي المتوفاة
ولهذا أنا أعتبر هنا ابن سفاح لأن هذا الزواج غير معترف به في إنكلترا كما
تعلمون.

باربارا: هذه سخافة.

كاسوس: هل هذا ينفع يا ماكيافيللي؟

أندرشافت [مفكراً] ربما يكون كذلك.

الليدي برايتمورت: هذا هراء...

أندرشافت [إلى كاسوس] أنت رجل مثقف وهذا ضد التقاليد.

كاسوس: ولكن اللغة الإغريقية لم تدمر عقلي، بل جعلته ينمو ويتغذى

بالإضافة إلى أنني لم أتعلمها في مدارس إنكليزية عامة.

أندرشافت: هم...لقد أقنعتني...أنت مقبول.

باربارا: لزممت الصمت صباح أمس يا دولي عندما أخبرنا ستيفن بأمر التقاليد

ثم زاد اهتمامك بها بعد ذلك..هل كنت تفكر في مولدك حينها؟

كاسوس: نعم.

أندرشافت: آها...إذا كانت عينك على تجارتي يا صديق أليس كذلك؟

كاسوس: لا..لم أحب مقاتلاتك الحربية.

أندرشافت: دعك منها الآن، دعنا نخوض في التفاصيل العملية، هل تعرف

أنك ستضطر إلى تغيير اسمك؟ هل توافق على ذلك؟

كاسوس: وهل من يسمى أدولفوس ويلقب بدولي يمانع إن غير اسمه؟

أندرشافت: جيد، أما بالنسبة إلى المال أعرض عليك مرتباً سنوياً مقداره ألف جنيه كبداية.

كاسوس [غاضباً] ألف جنيه؟ أتجرؤ على تخصيص مبلغ ألف جنيه فقط وأنا زوج ابنة المليونير... لا... لا تغشني يجب أن أحصل على ألفين وخمسمائة جنيه سنوياً لمدة سنتين، وبعد ذلك يمكنك طردي إذا فشلت في عملي، وإذا نجحت فيجب أن تعطيني مبلغ الخمسة آلاف جنيه الأخرى.

أندرشافت: أي خمسة آلاف جنيه؟

كاسوس: المتبقية من مرتبي السنوي والبالغ ألفين وخمسمائة جنيه سنوياً لأنك تكون قد أعطيتني نصف مرتبي فقط واحتفظت بالنصف الآخر ريثما أثبت جدارتي في العمل، فأنا أريد خمسة آلاف جنيه خلال هاتين السنتين، أما في السنة الثالثة فيجب أن أحصل على عشرة بالمائة من صافي الأرباح.

أندرشافت [مدهوشاً] عشرة بالمائة؟! لماذا يا رجل... هل تعلم كم هي أرباحي؟

كاسوس: هائلة... وإذا لم تكن كذلك فسأطلب خمساً وعشرين بالمائة.

أندرشافت: ولكن سيد كاسوس يبدو أنك لم تأخذ بحسبانك موضوع رأس المال.

كاسوس: ماذا؟ رأس المال..! ألا يُعد تمكني من اللغة الإغريقية رأس مال؟ ألا يُعد معرفتي بأجمل الأشعار الإغريقية رأس مال..! وماذا عن شخصيتي؟ وذكائي؟ وحياتي؟ ومهنتي؟ وماذا ستقول باربارا عني؟ أليس هذا كله رأس مال..؟ كلمة واحدة أخرى منك وسأضاعف المرتب الذي أريده.

أندرشافت: كن عقلياً..

كاسوس [مقاطعاً] سيد أندرشافت هذه هي شروطي أقبلها أو أرفضها. أندرشافت [بعد أن فكر قليلاً] حسناً.. لقد تفهمت شروطك وأعرض عليك نصف ما طلبت.

كاسوس: النصف؟

أندرشافت [يصرامة] نعم.. النصف.

كاسوس: تعتبر نفسك رجلاً راقياً ثم تعرض عليّ النصف؟

أندرشافت: أنا لا أعتبر نفسي رجلاً راقياً ولكنني أعرض عليك النصف.

كاسوس: أهذا ما تقدمه لشريك المستقبل؟ لخلفك؟ لصهرك!

باربارا: أنت تبّيع نفسك له يا دولي، دعني خارج الصفقة من فضلك.

أندرشافت: ومن أجل خاطر عيون باربارا سأكون كريماً معك، سأعطيك ثلاثة أخماس.. هذا آخر كلام عندي.

كاسوس: قبلت.

لوماكس: ماذا؟ أنا أخذ فقط ثمانمائة أتعرف هذا؟

كاسوس: بالمناسبة أنا ضعيف بالرياضيات، هل ثلاث أخماس أكثر أو أقل من النصف؟

أندرشافت: أكثر طبعاً.

كاسوس: كيف سنقنع شريكك لازاروس بإعطائي هذا المبلغ الضخم؟

أندرشافت: لازاروس رجل رومانسي لا يهتم إلا بحضور المسرحيات التي تعرض هنا وهناك، لن يمانع في شيء كهذا.

باربارا: هل انتهت الصفقة يا دولي؟ هل بعت نفسك إليه؟

كاسوس: ليس بعد، لقد انتهينا من مناقشة مرتبي فقط...ماذا عن الجانب الأخلاقي؟

الليدي برايممورت: لا يوجد جانب أخلاقي في الأمر أبداً يا أدولفوس، ستبيع الأسلحة ببساطة لمن معهم الحق وترفض بيعه للأجانب والمجرمين..

أندرشافت: لا..الأمر ليس هكذا، ستتفد عهد صانع الأسلحة.

كاسوس: وما هو عهد صانع الأسلحة؟

أندرشافت: أن تزود بالسلح كل من يستطيع الدفع دون الأخذ بعين الاعتبار الأشخاص أو المبادئ أو الاتجاهات الدينية أو السياسية أو الاختلافات العرقية..ستزود السلح للماركسي والشيوعي، والاشتراكي والرأسمالي، والملحد والمتدين، والبروتستانتى والكاثوليكي، ولأسود والأبيض والأصفر، وللشرطي وللص ولرجل العصابة، لكل الجنسيات والأعراق والأديان.

كتب أول فرد من آل أندرشافت على دكانه عبارة:

"مادام الرب قد أعطى الإنسان يداً فيجب أن لا نمنعه من أن يمسك بها سيفاً"

وكتب خلفه هذه العبارة:

" من حق الجميع أن يقاتل وليس من حق أحد أن يقضى بين الناس"

وكتب أندرشافت الثالث:

" للإنسان السلح وللسماء النصر"

أما أندرشافت الرابع فقد كان أمياً لا يحب العلم فلم يكتب شيئاً، إلا أنه باع

المدافع لنابليون تحت سمع ونظر جورج الثالث.

وكتب الخامس:

" السلام لن يسود ما لم نمسك السيف بيدنا"

أما أندرشافت السادس وهو معلمي فقد كان أفضل الجميع، كتب يقول:

" لن يحصل شيء في هذا العالم ما لم يُهَيَأ الناس لقتل بعضهم"

وبعد ذلك لم يتبق للسابع ما يكتبه فكتب ببساطة:

" نبيع السلاح بلا خجل"

كاسوس: صديقي ماكيافيللي، سأكتب أنا بدوري شيئاً على الجدار، ولكنني سأكتبه باللغة الإغريقية، ولهذا لن تستطيع قراءته، أما بالنسبة لعهد صانع الأسلحة فلن أتقيد به، سأبيع الأسلحة لمن أريد وأمتنع عن بيعها لمن لا أريد. أندرشافت: منذ اللحظة التي ستصبح فيها أندور أندرشافت لن تكون قادراً على أن تتصرف كما تريد لذلك كف عن محاولاتك للحصول على السلطة أيها الشاب.

كاسوس: أنا لا أسعى إلى السلطة، كما أنك لا تملك أي سلطة.

أندرشافت: هذا صحيح.

كاسوس: لدي قوة وسلطة أكثر منك، أنت لا تقود هذا المكان بل هو الذي

يقودك، من يقود هذا المكان؟

أندرشافت: قوة أنا جزء منها.

باربارا: والدي.. ما معنى هذا؟ أتدري ما تقول؟

كاسوس: أنا أعرف ماذا يقصد، يقود هذا المكان الجانب السيئ من المجتمع الساعين وراء المال بأي وسيلة ووراء النفوذ، الساعين وراء الترتيبات العسكرية وهو يعمل عبداً لهم.

أندرشافت: ليس بالضرورة، تذكر عهد صانع الأسلحة، أنا أتلقى الطلبات من الرجال الصالحين كما أتلقاها من الأوغاد، لا تلمني إذا أراد الصالحون الوعظ ثم شراء الأسلحة لمقاتلة الأوغاد.. اسأل باربارا إنها تعرف المعنى الحقيقي للقوة أخبريه يا ابنتي.

باربارا: كنت أملك قوتي الذاتية قبل أن ألتحق بجيش الخلاص، وبعد ذلك لم أعد أدري ماذا أفعل بها، ولم يكن لدي وقت كافٍ لأفكر بها.

أندرشافت: ولماذا حصل هذا..؟ أتعرفين السبب؟

باربارا: بالأمس كنت أعتقد أن قوتي مستمدة من وجودي في جيش الخلاص ثم تفاجأت عندما اكتشفت أن قوى جيش الخلاص مستمدة من تبرعات بودجر وأندرشافت، لقد انهار كل شيء أمامي عندما رأيتك توقع على ذلك الشيك يا أبي، شعرت أنني أقف وحيدة دون قوة.

أندرشافت: لا تكوني تراجيدية هكذا يا ابنتي، في هذا المصنع عندما ننفق سنوات من العمل وآلاف الجنيهات على سلاح جديد ثم نجربه ويثبت فشله فإننا نتخلص منه في الحال دون أن نهدر المزيد من الوقت ونبدأ في التفكير بآخر أفضل منه مستفيدين من خبرات فشلنا السابقة، وكذلك أنت يا حبيبتي ابحي عن شيء أفضل من جيش الخلاص هذا ولا تفكري في الماضي.

باربارا: أوه..كم سأكون سعيدة عندما أجد أفضل منه ولكنك قدمت لي هنا أسوأ منه رغم نظافته وجماله الظاهري.

أندرشافت: أنا لا أراه مكاناً سيئاً أو مظلماً يا صغيرتي، بل رأيت الجوع واللبؤس والشقاء في المقر الذي كنت تعملين فيه، كنت تعطيهـم الخبز وتدعيهم يحلمون بالفردوس، بينما أنا أعطيهم مرتبات تصل إلى اثني عشر ألفاً في السنة وأجعلهم يحققون أحلامهم.

باربارا: وماذا عن أرواحهم؟

أندرشافت: أنا أنقذ أرواحهم كما أنقذت روحك.

باربارا: أنت أنقذت روحي؟! ماذا تعني؟!

أندرشافت: لقد أمنت لك المسكن المحترم والحياة الكريمة، وأطعمتك وألبستك وزودتك بالمال اللازم لمتطلباتك وهكذا أنقذتك من الخطايا السبع المميتة.

باربارا: الخطايا السبع المميتة...! ما هي؟

أندرشافت [عاداً على أصابعه] الغذاء، الكسوة، الدفء، الإيجار، الضرائب الاحترام، الأطفال، لا شيء بوسعه حمل أعبائها الثقيلة عن كاهل الإنسان سوى المال، ولا تستطيع الروح أن تسمو ما لم ترتفع عنها هذه الأعباء السبعة، وأنا رفعتها عن روحك، جعلت من باربارا الميجور باربارا، وأنقذتها من جريمة الفقر.

كاسوس: وهل تسمي الفقر جريمة؟!

أندرشافت: بل أسوأ الجرائم، كل الجرائم الأخرى تعتبر فضائل بالقياس إليها، لأن الفقر قد يجتاح مدناً بأكملها ناشراً طاعونه المميت الذي يقتل كل من يصيبه.. ما تسمونه جريمة هو لا شيء بالقياس إلى الفقر، ما معنى جريمة قتل هنا أو سرقة هناك؟ ما أهميتها بالنسبة إلى المجتمع؟ إنها مجرد أمراض للحياة.. ولكن هناك ملايين الفقراء الأذلاء الوسخين المرضى الجائعين العريانين إنهم يسمموننا أخلاقياً وجسدياً لأنهم يقتلون سعادة المجتمع، يجعلوننا نخاف الأغبياء فقط هم الذين يخافون الجرائم، بينما نحن نخشى الفقر.

[يستدير نحو باربارا] لقد أخبرتني عن ذلك البائس الذي كدت أن تفلحي في إنقاذ روحه في ويست هام، واتهممتني أنني جررته إلى الهلاك، حسناً.. أحضره إلى هنا وسأجر روحه نحو الخلاص مجدداً من أجلك ليس بالكلام ولا بالأحلام

بل بالمال، سأعطيه مرتباً أسبوعياً مقداره تسعة وثلاثون شلناً، ومنزلاً محترماً
في شارع أنيق، عملاً دائماً.

باربارا: وهل سيكون أفضل حالاً مما عليه الآن؟

أندرشافت: أنت تدرين تماماً أنه سيكون أفضل حالاً، سيأكل أفضل، ويسكن
في منزل أفضل، ويرتدي ملابس أفضل، وسيصرف بطريقة أفضل، وسيتربى
أولاده في بيئة أفضل سليمين ومعافين من الأمراض، هذا بالتأكيد أفضل من
حصيرة في مقرك يجلس عليها ويأكل كسرات الخبز ثم يجبر بين الحين والآخر
على الركوع على ركبتيه ليشكر الرب على هذه النعمة..حاولي إنقاذ أرواح
عمالي فأرواحهم جوعى لأن أجسامهم شبعى..

الليدي برايتمورت: كفاك خطابات يا أندرو..هذا ليس المكان الملائم لذلك.

أندرشافت: عزيزتي..ليست لديّ طريقة أخرى لإيصال أفكاري للآخرين.

الليدي برايتمورت: أفكارك سخيفة أنت تتبناها لأنك أناني ولا تدقق فيها.

أندرشافت: على العكس تماماً، أنا أدقق في أفكاري جيداً، وأعرف تماماً ما
يعنيه الفقر والجوع، بينما الأخلاقيون لا يدققون فيها فيجعلونها فضائل، أفضل
أن أكون لصاً من أن أكون فقيراً أحيا عائلة على غيري، أفضل أن أكون قاتلاً
من أن أكون عبداً...لا أريد أن أكون لصاً أو قاتلاً إلا أنني أكره الفقر

والعبودية، ودعيني أخبرك شيئاً، صمد الفقر والعبودية طويلاً في وجه المقالات
والخطب الرنانة، إلا أنه لم يصمد في وجه أسلحتي... لا داعي للتكلم معهم بل
اقتلهم...

باربارا: أرى أن القتل هو علاج كل شيء بالنسبة إليك.

أندرشافت: إنه كذلك.

الليدي برايمورت: هيا يا أولاد، سنعود إلى المنزل في الحال.. آسفة جداً يا
أندرو أن سمحت لك بدخول بيتي، أنت شرير جداً بأفكارك... هيا تعالوا.

باربارا [هازة رأسها] لا فائدة من الهرب من الأشرار يا أمي.

الليدي برايمورت: ولكنها تظهر عدم موافقتنا لهم.

باربارا: إنها لا تتقذ روحهم.

الليدي برايمورت: أرى أنك تريد أن تعصيني.. سارة: هل ستأتين معي أم

لا؟

سارة: أعتقد أنه من العار على والدي أن يصنع الأسلحة، ولكنني أرى أننا
يجب أن لا نتركه من أجل هذا.

لوماكس: في الحقيقة يوجد بعض الكلام الفارغ فيما يتعلق بمفهوم الشر يجب أن ننظر إلى جوهر الأمر، ليس معنى هذا أنني أناصر الشر ولكن المشكلة كما تعلمون كل الناس يرتكبون أخطاء ويقعون في شرور ويجب أن نتكيف مع الجميع بطريقة أو بأخرى، ما أعنيه أننا لا نستطيع مقاطعة الجميع لكونهم مخطئين أو أشراراً...هل أوضحت وجهة نظري؟ [يجيل بناظريه في العيون المحدقة به]

الليدي برايتمورت: أنت تتملق أندرو يا تشارلز لأنه ناجح ولديه الكثير من المال ليعطيه لسارة.

لوماكس: حيث يوجد الطعام تتجمع النسور.. ألا تعرفين هذا؟ [إلى أندرشافت] ما رأيك؟

أندرشافت: بالضبط، بالمناسبة، أسمح لي أن أدعوك تشارلز؟

لوماكس: بكل سرور، وكولي إذا أردت.

أندرشافت [إلى الليدي برايتمورت] بيدي...

الليدي برايتمورت [يعنف] لا تدعوني بيدي...تشارلز لوماكس: أنت غبي

أدولفوس كاسوس: أنت ماكر، ستيفن: أنت لص...باربارا: أنت مجنونة..أندرو:

أنت تاجر مبتذل...الآن الجميع بات يعرف رأيي فيه. وقد ارتاح ضميري.

أندرشافت: عزيزتي...أنت تجسيد للأخلاق النبيلة..ضميرك ارتاح وانتهى
واجبك عندما نعت كل منا بصفة هيا يا يورو بيديس. لقد تأخر الوقت ونريد
العودة إلى منازلنا...قرري ماذا تريدين.

كاسوس: هل فهمت ما قال؟

الليدي برايتمورت: أدولفوس!

أندرشافت: دعيه يا بيدي...تابع يا كاسوس.

كاسوس: لقد وضعتني في ورطة كبيرة. أريد باربارا.

أندرشافت: أنت كسائر الشباب تبالغ في التمييز بين امرأة وأخرى.

باربارا: اختيارك صائب يا دولي.

كاسوس: كما أنني لا أريد أن أكون وغداً.

أندرشافت: أرى أنك لم تحسم أمرك بعد.

كاسوس: لا أدري...الجانب الشعاري في داخلي يبعثني عن أن أكون رجلاً

صالحاً..ولكن هناك أشياء داخلية يجب أخذها بعين الحسبان مثل الشفقة.

أندرشافت: الشفقة؟ إنها قمامة البؤس.

كاسوس: فإذاً الحب.

أندرشافت: أنت تحب المحتاجين والمنبوذين، تحب المضطهدين والزنوج
والهنود الحمر والخاسرين في كل مكان، هل تحب اليابانيين؟ هل تحب
الفرنسيين؟ هل تحب الانكليز؟

كاسوس: لا..كل انكليزي حقيقي يمقت الانكليز، نحن أشدّ أمة شراً على وجه
الأرض، ونجاحنا هو رعب للأخلاق والفضيلة.

أندرشافت: أهذا ما تعنيه بالحب؟

كاسوس: ألا أحب حتى والد زوجتي؟

أندرشافت: ومن يريد حبك لي؟ أنا لا أريده..أفضل بدلاً عنه الاحترام.

كاسوس: ربما لا أستطيع التحكم بعواطفني.

أندرشافت: ها هما الشفقة والحب قد ذهبا أدراج الرياح، بقي الغفران.

كاسوس: الغفران؟ لا...إنه ملجأ المتسولين.

أندرشافت: لقد بدأت تعجبني يا رجل..تعال وتذكر كلام أفلاطون.

كاسوس [يحقق به] أفلاطون؟ أنت تحفظ من كلام أفلاطون؟!

أندرشافت: نعم...قال أفلاطون يا صديقي: إن المجتمع لا يكون آمناً ما لم

يصنع فلاسفة الإغريق البارود أو أن يصبح صانعو البارود فلاسفة للإغريق.

كاسوس: أوه...حكمة مأكرة.

أندرشافت: هيا يا رجل..اختر..احسم أمرك.

كاسوس: قد لا ترضى باربارا بالزواج مني إذا أسأت الاختيار.

باربارا: معك حق.

كاسوس: أنت تسمعين؟

باربارا: أبي...هل تحب أحداً في هذه الحياة؟

أندرشافت: نعم...أحب صديقي المقرب.

الليدي برايتمورت: ومن هو صديقك المقرب؟

أندرشافت: ألد أعدائي..الرجل الذي يبقيني متيقظاً و حذراً.

كاسوس: هذا الرجل شاعر ولكن على طريقته الخاصة وربما كان فيلسوفاً أيضاً.

أندرشافت: كفاك تهكماً يا صديقي واحسم أمرك.

كاسوس: أنت تجرني عكس طبيعتي...أنا أكره الحروب.

أندرشافت: الكره هو انتقام الجبان من الذي يخيفه أو يهدده، ألا تريد شن

حرب على الحرب؟ ها هي الوسائل...صديقي لوماكس جالس عليها.

لوماكس: [ينتفض واقفاً] أوه...هل تعني أن هذا المدفع الذي أتكى عليه
مُنْخَر؟ هيا نرحل من هنا يا حبيبتي.

سارة [جالسة باسترخاء على قذيفة مدفع ممددة على الأرض] لو شاء القدر
أن ينفجر هذا الشيء أريد أن أتناثر إلى أشلاء فهذا أفضل..اجلس يا كولي ولا
تخف.

لوماكس [إلى أندرشافت] هذه ابنتك!

أندرشافت: نعم..[إلى كاسوس] حسناً يا صديقي..هل انتظرك هنا غداً الساعة
السادسة صباحاً؟

كاسوس: يستحيل أن أستيقظ الساعة الخامسة سأتي إلى هنا الساعة الحادية
عشرة.

أندرشافت: تعال متى شئت...قبل أن ينقضي أول أسبوع ستأتي الساعة
السادسة صباحاً وستظل هنا إلى أن أطلب منك الانصراف من أجل صحتك.
[منادياً] بيلتون [مستديراً نحو الليدي برايتمورت التي نهضت واقفة من على
ظهر المدفع التي كانت جالسة عليه] عزيزتي فلندع هذين الشابين هنا ولنذهب
لأصطحبكما في جولة في أرجاء مستوعب البارود [يخرج بيلتون من مستوعب
البارود]

بيلتون: لا تستطيعون إدخال أي شيء قابل للانفجار يا سيدي.

الليدي برايممورت: ماذا تقصد؟ هل تلمح إليّ.

بيلتون: لا يا سيدتي...أخذ السيد أندرشافت علبة كبريت ذلك السيد وأنا
أذكره بها.

أندرشافت: معك حق يا بيلتون معك حق، ها هي العلبة..[يخرجها من جيبه
ويعطيها لبيلتون] هيا يا ستيفن، هيا يا تشارلز أحضر سارة [يدخل قبلهم إلى
المستوعب] يفتح بيلتون علبة الكبريت ويتلف أعواد الكبريت.

ستيفن [إلى كاسوس بجدية] فكر جيداً يا دولي قبل أن تقرر هل تشعر أنك
رجل عملي بما فيه الكفاية مسؤولية ضخمة ستلقى على كاهلك.

كاسوس: لا أظن أن العمل هنا سيكون بالصعوبة التي تتخيلها.

ستيفن: أردت أن أنصحك قبل أن تتخذ قرارك ولا تدع شيئاً مما قلته حول
الخير والشر يؤثر في هذه الفرصة العظيمة التي أُتيحت لك، لقد اقتنعت أن هذا
العمل هو أحد الأعمال الجليلة التي تنفع الوطن [بعاطفة] وأنا فخور جداً بأبي.
[ثم يدخل المستوعب ويلحق به بيلتون]

ينظر باربارا وكاسوس إلى بعضهما بصمت بعد أن تركا بمفردهما.

كاسوس: باربارا...سأقبل هذا العرض.

باربارا: اعتقدت أنك ستقبله.

كاسوس: لابد أنك تعرفين أنه يجب أن أقرر دون أن أستشيرك لأنني لو استشرتك فستكرهيني فيما بعد.

باربارا: نعم...أنا لا أريدك أن تتبع روحك من أجلي مجدداً.

كاسوس: لا يؤرقني هذا الأمر فقد بعته مراراً عديدة قبل هذا ولم يعد يهمني الأمر، بعته من قبل من أجل الدراسة ومن أجل المرتب، وما هي تصرفات الإنسان سوى بيع يومي للنفس من أجل توافه الأمور..أنا أبيعها الآن ليس من أجل المال ولا من أجل الراحة بل من أجل القوة.

باربارا: ولكنك تدرك أنه لن تصبح لديك سلطة ما مثله تماماً.

كاسوس: لا أريد القوة لمصلحتي الخاصة فقط بل لمصلحة العالم بأسره.

باربارا: وأنا أريد القوة للعالم بأسره ولكنني أريدها قوة روحية.

كاسوس: حاولت في الماضي اكتساب قوة روحية عن طريق تدريس اللغة الإغريقية ولكن يستحيل للعالم أن يتأثر بلغة ميتة وبحضارة بائدة، القوة التي سأكتسبها من عملي هنا قوة مختلفة تماماً...قوة أستطيع من خلالها السيطرة على الناس.

باربارا: إنها قوة مدمرة تحرق المنازل وترمّل النساء وتقتل الأبرياء.

كاسوس: لا تستطيعين حيازة القوة من أجل الخير دون حيازة القوة من أجل الشر أيضاً، حتى حليب الأمهات يربي القتلة كما يربي للأبطال، كما أن السلاح ليس هو مصدر القوة الوحيد في العالم هناك قوة الكلمة وأحياناً يكون للكلمة قوة أمضى من قوة السلاح، لقد تحداني والدك وأنا قبلت التحدي، سأشن حرباً ضد الحرب...والآن هل انتهى كل شيء بيننا؟

باربارا: [متأثرة من كلامه] أيها الصغير دولي السخيف. وكيف لي أن أفارقك؟

كاسوس [يكاد يطير من الفرحة] هل...هل معنى هذا...أوه..

باربارا: ليتني أهرب منك ومن والدي ومن كل شيء..ليتني أملك جناحي حماسة لأطير نحو الفردوس.

كاسوس: وتتركيني.

باربارا: نعم أتركك أنت وكل الرجال والأطفال المشاكسين ولكنني لا أستطيع كنت سعيدة في جيش الخلاص إذ هربت من العالم إلى فردوس الحماسة والصلاة وخلاص الروح، ولكن منذ اللحظة التي افترقنا فيها إلى المال علمت أن المال يأتي من بودجر وأنه هو الذي يخلص أرواح الناس بماله الملوث. هو

وأمر الظلام والدي...تمتد أيدي أندرشافت وبودجر إلى كل مكان، نطعم الجياع من خبزهم، ونعالج المرضى في المستشفيات التي أنشأوها، وندخل إلى الكنائس التي بنوها، وطالما استمر هذا فلا مهرب منهم، إدارة ظهرنا إلى بودجر وأندرشافت هو إدارة ظهرنا للحياة.

كاسوس: ظننت أنك كنت مصممة على إدارة ظهرك للجانب الشرير في الحياة.

باربارا: لا وجود لجانب شرير في الحياة فالحياة هو كل متكامل، أتدري ما كنت فعلت لو لم تقبل عرض أبي.

كاسوس: ماذا؟

باربارا: كنت تركتك وتزوجت الرجل الذي قبل العرض..أمي ذكية أكثر منا كلنا..شعرت بنفس شعورها عندما رأيت هذا المكان، شعرت أنه يجب أن أملكه وأنه يجب أن لا أدعه يفلت مني، الفارق أنها رأت فيه فقط حقائقه الجميلة وبيوته الأنيقة وشوارعه النظيفة، بينما أنا رأيت فيه الأرواح البشرية التي يجب أن نأخذ بيدها للخلاص، ليست تلك الأرواح الضعيفة في الأجساد الجائعة التي تلهج بالشكر من أجل كسرة خبز، ولكن مخلوقات مشاكسة، متكبرة، مغرورة هؤلاء هم الذين يحتاجون الخلاص فعلاً...لن يقول لي والدي مجدداً أنني رشوت الضعفاء بكسرة من الخبز لكي يهتدوا إلى طريق الصواب.

كاسوس: إذا فطريق الحياة يمر بمصنع الموت.

باربارا: نعم... عبر الجحيم إلى الفردوس [تمسك بكلتا يديه] أوه.. هل ظننت أن شجاعتي لن تعود إليّ؟ أنا التي وقفت في الشوارع وعطفت على الناس وأرشدتهم إلى طريق الخلاص وتكلمت معهم بأقدس وأسمى الأمور يمكنني أن أدير ظهري إلى كل هذا وأثرثر بغباء مع الناس الذين لا همّ لهم في الحياة سوى الموضة؟ أبداً.. شكراً لك يا دولي لقد أوجدت عملاً لي عندك وبجانبك وشكراً لله.

كاسوس: يا حبيبتي.

[تستدير باربارا تريد دخول المستوعب وتتأدي] أمي... أمي..

[يفتح بيلتون الباب ويخرج يتبعه أندرشافت] أريد أمي.

أندرشافت: ها هي خارجة [يجتازها ويتكلم مع كاسوس] حسناً... ماذا قالت؟

كاسوس: لا مانع لديها من أن أعمل عندك.

[تخرج الليدي برايتمورت يتبعها سارة و لو ماكس]

الليدي برايتمورت: ماذا تريدان يا صغيرتي؟

باربارا: أريد بيتاً في القرية لأعيش فيه مع دولي.. [تجر أمها من تنورتها]

تعالى... أريني أيها أختار.

أندرشافت [إلى كاسوس]: أريدك أن تحضر غداً الساعة السادسة صباحاً إلى هنا.

كاسوس: [متهدياً] حاضر سيدي!.

النهاية

المحتوى	رقم الصفحة
الإهداء	٥
تقديم: بقلم محمد طريف فرعون	٧
الشخصيات	١١
الفصل الأول: صانع الأسلحة	١٥
الفصل الثاني: جيش الخلاص	١١
الفصل الثالث: بعد الاجتماع	١٦
الفهرس	١٤٣

